

سماحة الفقيه المجدّد المرجع
السيد محمد حسين فضل الله (رض)

مع الإمام عليّ عليه السلام في العلاقة بالله تعالى

إعداد وتنسيق

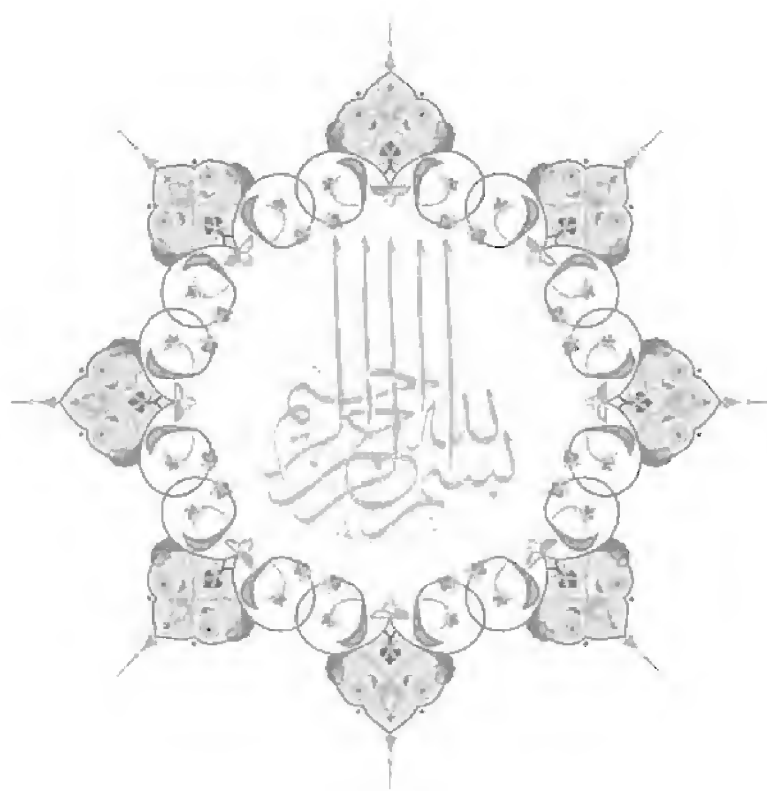
الدكتور السيد محمد رضا فضل الله

مجلد ١

المركز الإسلامي الثقافي - مجمع الإمامين الحسنين (ع)

لبنان - حارة حريك

مع الإمام عليٍّ عليه السلام
في العلاقة بالله تعالى



سماحة الفقيه المجدّد المرجع
السيد محمد حسين فضل الله (رض)

مع الإمام عليّ عليه السلام في العلاقة بالله تعالى

إعداد وتنسيق

د. السيد محمد رضا فضل الله

إصدار

المركز الإسلامي الثقافي

مجمع الإمامين الحسين عليه السلام - حارة حريك



المقدمة

إنَّها كلماتٌ تلميذُ رسولِ الله ﷺ ... كلماتٌ دون كلام الخالق، وفوق كلام المخلوق.. وما ذاك إلا لأنَّ علياً عليه السلام خريج مدرسة القرآن... ومن هذه المدرسة نهل علي عليه السلام ما رسم للأجيال و الأمة دروب خلاصها، وهي إذا ما سارت في هذه الدروب ستنال خير الدنيا وكرامة الآخرة...

وهذا ما حرص الفقيه المجدد العلامة المرجع السيد فضل الله (رضوان الله عليه) على تبيانهِ وإظهار معانيهِ، وتحليل أبعاده من خلال شروحاته وأبحاثه وخطبه التي تناول فيها وفي مناسبات عديدة الحديث عن نهج علي عليه السلام فيما شكّل خطأً معرفياً، عمل السيد (رض) من خلال كتاباته ومواعظه على وضعه بين أيدي الناس، ليكون لهم زاداً يحملونه في العقل والقلب، يقتحمون به الحياة في حلوها ومرّها، وهدفهم فيها رضی الله وحده..

ونحن في المركز الإسلامي الثقافي إذ نشكر الأخ الدكتور
السيد محمد رضا فضل الله الذي يدأب على مواصلة تحرير
وتسيق وإعداد هذه السلسلة. نسأل الله التوفيق والنجاح،
على أمل الاستمرار في بذل هذا الجهد ليكون خير زاد له ولنا
يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.
والله الموفق والمسدد

مدير المركز الإسلامي الثقافي

شفيق محمد الموسوي

ذو القعدة ١٤٣٢ هـ

١٥ (أكتوبر) ٢٠١١ م



أفضل المؤمنين





八



بعد وفاة رسول الله ﷺ ، كان أمام الإمام علي عليه السلام
مهمتان:

ـ المهمة الأولى: استكمال تربية الأمة على الإسلام،
فالمشركون شغلوا النبي ﷺ بالحروب، وحالوا دون
ممارسة دوره التربوي كاملاً، والإمام عليه السلام كان الوحيد
المؤهل لأن يستمر دور الرسول ﷺ به، فهو خليفته في
الرسالة، وخليفته في الحكم، وما عليه إلا أن يكون كما
كان رسول الله شاهداً ومبشراً ونذيراً وداعياً إلى الله
بإذنه وسراجاً منيراً.

ـ المهمة الثانية: الولاية التنفيذية على سلوك المسلمين،
فكما كان النبي ﷺ أولى بالمؤمنين من أنفسهم، كذلك
لابد لخليفته من أن تكون له الولاية التي هي دليل حاكمية
الله سبحانه وتعالى.

ومن أجل تهيئة الإمام عليه السلام لمهمة الخلافة، اعتمد
النبي ﷺ طريقتين:

أ - تربية الإمام عليه السلام روحياً وفكرياً وعلمياً: كان الإمام علي عليه السلام الإنسان الذي عاش طفولته مع النبي ﷺ، وشبابه مع الرسالة، حتى أنّ رسول الله ﷺ كان يقول له: «يا عليّ إنك ترى ما أرى، وتسمع ما أسمع، ولكنك لست بنبي» كان يرى الوحي ويسمعه كما يراه النبي ﷺ ويسمعه، وكان يختلي به الساعات الطوال، فيفتح قلبه على أسرار القرآن، وأحكام الإسلام، هذا ما صرح به الإمام عليه السلام بقوله:

«كنت إذا سألت رسول الله أجابني، وإذا سكّت ابتدأني». وكان علي عليه السلام باب مدينة العلم، وقد علّمه النبي ﷺ ألف باب من العلم، فتح له من كلّ باب ألف باب. ب - النصّ على إمامته: ولم يكتفِ النبي ﷺ بتربيته بل أعلن اسمه كخليفة في مناسبات عديدة منها:

– حديث المنزلة: «أنت منّي بمنزلة هارون من موسى إلاّ أنّه لا نبيّ بعدي».

– حديث الثقلين: «إني تارك فيكم الثقلين: كتاب الله وعترتي أهل بيتي، ما إن تمسّكتم بهما لن تضلوا بعدي أبداً».

– حديث الغدير: «اللهم من كنت مولاه فهذا عليّ مولاه،



اللَّهُمَّ وَالْ مَنْ وَالَاه، وَعَادِ مَنْ عَادَاه، وَانصِرْ مَنْ نصره،
وَاخْذَلْ مَنْ خَذَله، وَأَبِرِ الْحَقَّ مَعَه كَيْفَمَا دَارَ.

مكانة الإمام عليه السلام وأهليته

من خلال هذا الإعداد الإلهي والنبوي كُنَّا نقول ولا نزال:
أن ليس هناك أحدٌ من المؤهلين لخلافة النبي ﷺ سوى عليٍّ
عليه السلام، ولم يجتمع لأحد من صحابة النبي ﷺ كما اجتمع
لعليٍّ عليه السلام في وعيه للرسالة، وفي إخلاصه للدين، وفي دقته
في الإدارة، وهذا ما نلمسه حين نقرأ عهده لمالك الأشر
حين ولَّاه على مصر، وفي كُتبه إلى الولاة في الأمصار...
لقد كان بالفعل أفضل المسلمين في إدارة الدولة، وطريقة
تنظيمها، وحلِّ مشاكلها... وهذا ما جعله موضعَ حاجة جميع
المسلمين في كلِّ أمورهم، إذ لم يُنقل أنه احتاج إلى أحد في
شيء، وهذا ما عبَّر عنه أحد علماء اللغة العربية «الخليل بن
أحمد الفراهيدي»، وقد سُئل: لماذا قدِّمت عليًّا على غيره؟
قال: احتياج الكلِّ إليه، واستغناؤه عن الكلِّ، دليلٌ أنه إمام
الكلِّ.

حتَّى أنَّ الخليفة الثاني عمر بن الخطاب كان يلجأ إليه
إذا ابتلي بقضايا معقَّدة، ليجد الإمام عليًّا عليه السلام حاضراً

لحلّها وتوجيهه نحو الطريق الصواب، حتّى قال فيه: «لولا عليّ لهلك عمر».

«لا كنت لمعضلة ليس لها أبو الحسن».

على هذا الأساس فإنّنا نعتبر أنّ المفاضلة بين عليّ عليه السلام وبين غيره أمر لا معنى له.

الإمام عليّ عليه السلام في وعي مجتمعه

ومع كلّ هذا الموقع الكبير نجد الإمام عليّاً عليه السلام مظلوماً في حقّه قبل الخلافة وبعدها، لأنّه كان يعيش أو يحكم مجتمعاً لا يفهمه، ولا يستفيد منه، فكان يقول لهم: «إنّ هاهنا لعلماء جمّاً، لو أصبت له حملة».

وكان يردّد: «سلوني قبل أن تفقدوني فإنّي بطرق السماء أعلم منّي بطرق الأرض».

وماذا كان الجواب؟ ... لا شيء.

لذا لا بدّ للمسلمين في مدى الزمن من إعادة قراءة لتاريخ عليّ وعلمه وسلوكه، من أجل أن نفهمه، أن نتفتح على فكره، أن ننطلق في آفاقه، أن نأخذ بنصائحه ووصاياه.

لو أردنا، في هذه الأيام، ونحن نعيش في عصر انفجار المعرفة، عصر العلم حيث أصبحت المعارف متوفّرة وفي



متناول الجميع، لو أردنا أن نقوم بعملية استفتاء لأغلب المسلمين الذين يسرون بخطّ علي عليه السلام، أو الذين ينتمون إلى شيعة علي عليه السلام ماذا يعرفون عنه؟

إنّك ستُفاجأ بروايات عن بطولات علي عليه السلام في معركة الأحزاب وهو يضرب عمرو بن عبد ودّ العامري ويصرعه، وفي معركة خيبر التي هزم فيها اليهود، ودحا باب الحصن، وقتل قائدهم مرحباً. أما معرفتهم عن علي عليه السلام الإنسان الذي ضرب الجهل، وهزم التخلّف، وقضى على الكفر.. فهذا أمر لا يَرِد في أحاديثهم أو اهتماماتهم. أما علي عليه السلام وسعة علمه وشموليّة مداركه فهذا أمر لا يعرفونه، ولا يتابعونه ليستفيدوا منه.. استمع إليه وهو يقول لصاحبه كميل بن زياد:

«يا كميل... الناس ثلاث: فعالم ربّاني، ومتعلّم على سبيل نجاة، وهمج رعاع أتباع كلّ ناعق، يميلون مع كلّ ريح لم يستضيئوا بنور الحقّ، ولم يلجأوا إلى ركن وثيق».

كم عندنا من الهمج الرعاع إذا دُقّ الطبل فكلّ الناس تسارع لتجتمع وتحترف، أما إذا نادى المؤذن للصلاة، كم العدد الذين يستجيبون لذلك النداء؟..

الإمام علي عليه السلام في إدارة دولته

بعد مقتل الخليفة الثالث عثمان بن عفان، أجمع المسلمون على اختيار الإمام علي عليه السلام خليفةً وحاكماً، فمارس مهمّة إدارة الحكم بأسلوب إسلامي حضاري رائع، وبالأخص في علاقته مع عمّاله في الولايات حيث كان يمارس معهم لونيّن من التوجيه والتقويم.

- يحرص على أن يتعهّد بهم بالتثقيف والتوجيه والموعظة، إنّه يريد منهم أن يعيشوا ثقافة الإسلام وأخلاقيّته وروحانيّته، ليحسّدوا الإسلام الحركي على أرض الواقع.

- يراقب أداءهم، فإذا رأى منهم أعمالاً حسنة شجّعهم وأظهر تقديره لهم، وإذا رأى أفعالاً سيئة وبّخهم وأظهر استياءه منهم.

ومن الكتب الإرشادية التي زوّد بها أحد عمّاله هو كتابه إلى عامله الحارث الهمداني، ومما جاء فيه:

وَأَعْلَمَ أَنَّ أَفْضَلَ الْمُؤْمِنِينَ أَفْضَلُهُمْ تَقْدِمَةُ^(١) مَنْ نَفْسِهِ وَأَهْلِهِ وَمَالِهِ فَإِنَّكَ مَا تُقَدِّمُ مِنْ خَيْرٍ يَبْقَى لَكَ دُخْرُهُ^(٢) وَمَا تُؤَخِّرُهُ يَكُنْ لْغَيْرِكَ خَيْرُهُ، وَاحْذَرْ صَحَابَةَ

(١) تقديمة: مصدر قدّم... أي بذلاً وإنفاقاً.

(٢) ذخره: نتائجه الجيدة، خيره.



مَنْ يَفِيلُ^(١) رَأْيُهُ وَيُنْكِرُ عَمَلُهُ فَإِنَّ الصَّاحِبَ مُعْتَبَرٌ
بصاحبه.

وَأَسْكُنَ الْأَمْصَارَ الْعِظَامَ فَإِنَّهَا جَمَاعُ الْمُسْلِمِينَ وَاحْذَرِ
مَنَازِلَ الْغَفْلَةِ وَالْجَفَاءِ وَقَلَّةِ الْأَعْوَانِ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ وَأَقْصِرْ
رَأْيَكَ عَلَى مَا يَعْينُكَ وَإِيَّاكَ وَمَقَاعِدِ الْأَسْوَاقِ فَإِنَّهَا مَحَاضِرُ
الشَّيْطَانِ وَمَعَارِضُ الْفِتَنِ..

أفضل المسلمين من يعيش مسؤولية العطاء

«واعلم أن أفضل المؤمنين أفضلهم تقدمه من
نفسه وأهله وماله...»

إن أفضل المسلمين هو الذي يعيش روحية العطاء،
ومسؤولية العطاء فيما يقدم للناس من فكر إذا كان يملك
فكراً، ومن جهد إذا كان يملك جهداً، ومن جاه إذا كان يملك
جاهاً، ومن مال إذا كان يملك مالاً، ومن أهله إذا كان يستعين
بأهله في سبيل الله.

إننا نتصور أن الله تعالى عندما يتفضل علينا بنعمه، فإنه
يعطينا إياها امتيازاً لأنفسنا فقط، والحقيقة أن هذه النعم
هي بمثابة بلاء واختبار لنا من جهة، ومسؤولية من جهة

(١) يفيل: يضئف.

ثانية، فكَلِّمًا كانت نِعْمُ الله أكثر، كَلِّمًا كانت المسؤولية أمام الله أكثر... فالله تعالى سيسألنا عن المال الذي أعطاه، ماذا فعلنا به؟ وأين أنفقناه؟ وكيف صرفناه؟.

﴿وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾ [الذاريات : ١٩]
 ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِّن شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾ [الأنفال: ٤١]، ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ [البقرة: ٤٣] ﴿وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلِفِينَ فِيهِ﴾ [الحديد: ٧].

– إِنَّ مَالَكَ هُوَ مَسْئُولِيَّتِكَ... وَإِنَّ جَاهَكَ هُوَ مَسْئُولِيَّتِكَ..
 – وَإِنَّ قُوَّتَكَ الْبَدَنِيَّةَ هِيَ مَسْئُولِيَّتِكَ... وَإِنَّ قُوَّتَكَ الْاجْتِمَاعِيَّةَ هِيَ مَسْئُولِيَّتِكَ..

– وَإِنَّ قُوَّتَكَ السِّيَاسِيَّةَ هِيَ مَسْئُولِيَّتِكَ... وكذلك قُوَّتَكَ الْعَقْلِيَّةَ، كَلِّمًا أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْكَ بِطَاقَاتٍ أَكْثَرَ، كَلِّمًا طَالَ وَقُوفُكَ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَكُلُّ شَيْءٍ سَتُسْأَلُ عَنْهُ، وَالْمَلَفَّاتُ جَاهِزَةٌ لَدَيْهِ: ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [يس: ٦٥]

إذا أردت أن تكون الأفضل بين المؤمنين وعند الله تعالى فكن الأفضل فيما تقدّمه للناس ممّا يحتاجون إليه من نفسك وأهلك ومالك.. ثم يعقّب الإمام (عليه السلام) على ذلك فيقول:



«فإنَّك ما تقدِّم من خيرٍ يبق لك ذخره، وما تؤخِّره يَكُنْ لغيرك خيرُهُ...»

يقول الله تعالى في هذا الإطار: ﴿وَمَا تَقْدُمُوا لَأَنفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١١٠] لتكون كل حياتنا ساحة للخير، الذي سيبقى صدقة جارية، وعملاً صالحاً نواجه به ربنا يوم الحساب.. أما إذا حصل بعض التقصير أو التأخير في توظيف الطاقات بما ينفع الناس، فإن ما سيبقى لدينا من مال أو غيره، فسيعود إلى غيرنا دون أن نحقق منه أية فائدة.

أفضل المسلمين من يستفيد من تجارب الآخرين

أ - الحذر من مصاحبة الجهلاء: ثم يحذره من مصاحبة الجهلاء الذين قد يضعفون رأيه، ليشجعه على مواكبة العلماء الذين قد يتحفونه بالعلم ويُفَنِّونه بالتجارب:

«واحذر صحابة من يفيل (يضعف) رأيه، ويُنكِرَ عمله، فإنَّ الصاحب معتبر بصاحبه»
فالإنسان يُحكَّمُ عليه من خلال أصحابه «قل لي من تعاشر، أقل لك من أنت».



ويقول الشاعر:

عن المرء لا تسأل وسلّ عن قرينه
فكلّ قرين بالمُقارن يقتدي
فالحذر كلّ الحذر من الصديق الذي يُضعف رأيك،
ويشوّه سيرتك، وينال من مكانتك وهيبتك، وبالتالي قد
يساهم في انحرافك. في وصيّته لواحدٍ من أولاده، يقول
الإمام علي عليه السلام:

«يا بني... إياك ومصادقة الأحمق، فإنّه يريد أن ينفعك
فيضرك..

وإياك ومصادقة البخيل، فإنّه يقعدُ عنك أحوج ما تكون
إليه..

وإياك ومصادقة الفاجر، فإنّه يبيعك بالتافه..
وإياك ومصادقة الكذاب، فإنّه كالسراب يقربُ عليك
البعيد، ويبعدُ عليك القريب».

ويقول أيضاً: «قارن أهل الخير تكن منهم، وبإين أهل
الشرّ تبين عنهم».

ب - التشجيع على ارتياد مواقع العلم والتجربة: ويضيف
الإمام عليه السلام في وصيّته بالقول:

«واسكن الأمصار العظام فإنّها جماع المسلمين، واحذر



منازل الغفلة والجفاء وقلّة الأعوان على طاعة الله، واقصر رأيك على ما يعينك».

يعالج هذا النص نقاطاً ثلاثاً:

١ - «واسكن الأمصار العظام فإنّها جماع المسلمين»..

يريد الإمام عليه السلام نصيحة عاملة بسكنى العواصم الرئيسية، لأنّها تُعتبر مركز تجمع رجالات العلم والدين والخبرة والسياسة... فمنهم يكتسب المعرفة والثقافة التي توسّع آفاقه، والخبرة التي تعمّق تجربته، ومعهم يواكب حركة العلماء والمؤمنين الصالحين الذين يأخذ منهم الموعظة والنصيحة والحكمة التي تقوم أداؤه، وتعُدّل من سلوكه.

٢ - «واحذر منازل الغفلة والجفاء وقلّة الأعوان على

طاعة الله» كما يحذّره من سكنى الأماكن التي يعيش فيها الناس الغفلة عمّا يجري في الحاضر، وعمّا يدبّر للمستقبل، والقسوة في علاقاتهم الاجتماعية مع بعضهم البعض... بعيداً عن قيم المحبة والرحمة والموّدة... احذر كلّ هؤلاء الذين تشغلهم هوامش الحياة التي تؤكّد على الاختلاف، وتمنع التواصل، وتصدّ عن طاعة الله تعالى.

٢- «واقصر رأيك على ما يعنيك...» ثم يطلب منه أن يركّز اهتمامه على ما يعنيه، أي ما يتّصل بنطاق مسؤوليّته، فالإنسان لا يستطيع أن يحيط بكلّ شيء، فلا بدّ له من أن يختار ما يعنيه من قضايا ومواقف وعلاقات وما سيُقدم عليه في دنياه وآخرته.

أفضل المسلمين من يختار البيئات الصالحة

وحتى يحصّن نفسه من الانحراف، يحذّره من التردّد على مواقع الفساد التي يرتع فيها الشيطان وجنوده: «وإياك ومقاعد الأسواق، فإنّها محاضر الشيطان ومعارض الفتن» فحينما ندرس حركة الأسواق وما يجري فيها من معاملات، نجد فيها الكثير من الخداع والغش والرّبا والنزاع... وكلّها أو بعضها قد تتسلّل إلى زوايا النفس لتخفّف من التزامها وتقواها.

يريد الإمام عليه السلام من هذا أن يقول لواليه الحارث الهمداني: إذا كانت أجواء الأسواق العامة بهذا الشكل، فإنّ تواجدك يفرض عليك أن تعيش هذه الأجواء التي لا تخدم صفاء نفسك، ولا تخدم انفتاحك على ربّك، ممّا يدخلك في فتن لا علاقة لك بها، وممّا يجعل للشيطان طريقاً إلى



شخصك، باعتبار أنك تقترب من موافقه.

وَأَكْثَرَ أَنْ تَنْظُرَ إِلَى مَنْ فَضَّلْتَ عَلَيْهِ فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ أَبْوَابِ الشُّكْرِ وَلَا تُسَافِرْ فِي يَوْمِ جُمُعَةٍ حَتَّى تَشْهَدَ الصَّلَاةَ إِلَّا فَاصِلًا^(١) فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ فِي أَمْرٍ تُعَذِّرُ بِهِ.

وَأَطِعِ اللَّهَ فِي جَمِيعِ أُمُورِكَ فَإِنَّ طَاعَةَ اللَّهِ فَاضِلَةٌ عَلَى مَا سِوَاهَا وَخَادِعُ نَفْسِكَ فِي الْعِبَادَةِ وَأَرْفُقْ بِهَا وَلَا تَقْهَرْهَا وَخُذْ عَفْوَهَا^(٢) وَنَشَاطَهَا إِلَّا مَا كَانَ مَكْتُوبًا عَلَيْكَ مِنَ الْفَرِيضَةِ فَإِنَّهُ لَا بُدَّ مِنْ قَضَائِهَا وَتَعَاهُدِهَا عِنْدَ مَحَلِّهَا.

وَيَاكَ أَنْ يَنْزِلَ بِكَ الْمَوْتُ وَأَنْتَ أَبْقَى^(٣) مِنْ رَبِّكَ فِي طَلَبِ الدُّنْيَا وَآيَاكَ وَمُصَاحَبَةِ الْفُسَّاقِ فَإِنَّ الشَّرَّ بِالشَّرِّ مُلْحَقٌ وَوَقِّرِ اللَّهَ وَأَحْبِبْ أَحِبَّاءَهُ وَاحْذَرِ الْغَضَبَ فَإِنَّهُ جُنْدٌ عَظِيمٌ مِنْ جُنُودِ إِبْلِيسَ. وَالسَّلَامُ ...

أَفْضَلُ الْمُؤْمِنِينَ مَنْ يَعْرِفُ كَيْفَ يَشْكُرُ اللَّهَ عَلَى نِعَمِهِ

يتابع الإمام علي عليه السلام في رسالته إلى عامله الحارث الهمداني تقديم النصائح والإرشادات التي يضمن بها سلامة نهجه وأدائه.. إنه يريد أن يقول له: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى

(١) فاصلاً: خارجاً ذاهباً.

(٢) عفوها: وقت فراغها وارتياحها إلى الطاعة.

(٣) أبقى: هارب منه ومتحوّل عنه إلى طلب الدنيا.

خلق البشر مختلفين في خصائصهم ومراتبهم: ﴿وَهُوَ
الَّذِي جَعَلَ لَكُم مَّخَلَّاتٍ مِّنَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضُكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ
لِّيَلْوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾
[الأنعام: ١٦٥].

وهذا يفرض على المؤمنين سلوكاً إنسانياً ينسجم مع هذا
الاختلاف والتباين، إنه يقول:

«وَأَكْثَرُ أَنْ تَنْظُرَ إِلَى مَنْ فَضَّلْتَ عَلَيْهِ، فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ أَبْوَابِ
الشُّكْرِ...» فالناس - كما قلنا - مختلفون.. فواحد جميل،
وآخر أقلَّ جمالاً، وفرد غني، وآخر فقير، وشخص عالم،
وآخر جاهل... وهكذا نرى الناس يتفاضلون مع بعضهم
البعض... فمنهم من ينظر إلى من هو أعلى منه، فيشعر
بالغبن، فيستقلَّ نعمة الله عليه، أو لا يشعر بقيمة النعمة، أو
قد يملأ صدره الحسد الذي قد يتحوَّل إلى عقدة ضدَّ صاحب
النعمة الذي هو أفضل منه، وقد ورد ببعض الشعر:

«وَكُلُّ ذِي نِعْمَةٍ تَلْقَاهُ مَحْسُوداً»

لذا أراد الإمام عليه السلام لصاحبه ولجميع المؤمنين أن
ينظروا النظرة التي تجعلهم يشكرون المنعم، فقال لهم:
أنظروا لمن هو أسفل منكم، فستجدوا أن الله تعالى أعطاكم
أكثر ممَّا أعطاه، وهياً لكم فرص النجاح أكثر ممَّا هيأها



للآخرين.. إن هذه المقارنة الموضوعية كفيلة بأن تدفعك إلى شكر الله تعالى وتقدير نِعَمِهِ، وشكر الله تعالى يكون في تحرك هذه النعم فيما يحبه الله ويريده.

أفضل المؤمنين من يعرف متى وكيف يعبد الله تعالى

وفي إطار العبادة يُولي الإمام عليه السلام اهتماماً بـ:

أ - الحرص على أداء فريضة الجمعة: «ولا تسافر في يوم جمعة حتى تشهد الصلاة إلا فاصلاً في سبيل الله، أو في أمر تُعذر به...»

يؤكد الإمام عليه السلام على الصلاة الأسبوعية الجماعية حيث تتم العبادة في أجواء يفتح فيها المؤمنون على قضاياهم الاجتماعية، ويعالجون أمورهم السياسية، ويتابعون أوضاعهم الأمنية.

صلاة الجمعة هي الصلاة الأسبوعية التي أراد الله للمسلمين أن يلتقوا عليها، ويجتمعوا فيها ليتواصلوا ويتعارفوا ويذكروا الله تعالى، ولم ينَادِ الله بصلاة كما نادى لصلاة الجمعة حيث قال:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * فَإِذَا قُضِيَتِ



الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿ [الجمعة: ٩ - ١٠].

ذلك هو سبيل النجاح والفلاح في الدنيا والآخرة. ثم إنَّ الله تعالى يحدثنا عن بعض الناس الذين كانوا في زمن النبي محمد ﷺ: كانوا أثناء إقامة الصَّلَاة، يأتي أحدهم لينادي ويرُوج لبضاعته، فما يكون من بعضهم إلا أن يتركوا الصَّلَاة، وينشغلوا بالتجارة، بينما يريد الله أن ينطلقوا إليه ويؤكدوا ثقتهم به.

﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿ [الجمعة: ١١].

والحديث الشريف يقول: «لا يكون الرجل مؤمناً حتى يكون بما في يد الله أوثق منه بما في يده».

فلتكن لدينا الثقة الكبيرة بالله الخالق الرازق، ولماذا نخاف على الرزق، والنفوس - بإذن الله - لا تموت حتى تستكمل رزقها المقسوم لها.

ثم إنَّ الإمام عليه السلام يحدِّد الحالات التي يُعذر فيها الإنسان إلى الله تعالى وهي:

- يكون لديه أمر ملح يضطره للسفر، لأنَّ للضرورة أحكامها.



– أو يكون لديه عمل جهاديّ أو خدمة دينيّة يُراد بها وجه
الله تعالى .

ب ـ الحرص على أداء العبادة بإقبال وتوازن: ثم ينتقل
إلى الحديث عن طبيعة أداء العبادة كشكل من أشكال
الطّاعة لله سبحانه: «وأطع الله في جميع أمورك، فإنّ
طاعة الله فاضلة على ما سواها، وخادع نفسك في
العبادة، وارفق بها ولا تقهرها، وخُذْ عَفْوَهَا ونشاطها،
إلا ما كان مكتوباً عليك من الفريضة، فإنه لا بدّ من
قضائها، وتعاهدها عند محلّها...»

فالعبادة ليست حركات منتظمة فقط بل هي روح وذكّر
ووعي، والعبادة لقاء حميم مع الله تعالى، وحضور قلبي بين
يديّ الله تعالى، وقيمة العبادة الحقّة هو أن تذكر الله في
قلبك، قبل أن تذكره بلسانك، وهذا ما يفرض أن تكون نفسك
مرتاحة أثناء العبادة، بحيث يسمح لك ذلك بالتوجّه الروحي
الكليّ في حالتَي الحركة والقراءة.

والعبادة على قسمين: فرائض ومستحبّات، ولكلّ واحدةٍ
منها خصائصها وأجوائها وأوقاتها..

الفرائض واجبة لا يجوز أن تُترك، فالصلاة – مثلاً –
يجب أن تؤدّى في أوقاتها سواء كانت النفس مقبلة أو غير



مقبلة، وإن كان عليك أن تجتهد في تحصيل التوجّه القلبي
بأيّ ثمن.

المستحبات عبادة طوعية، يشجّع عليها الدين، ويقدم لها
برامج خاصة من تلاوة وصلاة ودعاء في أوقات ومناسبات
خاصة... ولكن الإمام عليه السلام يقول: «خادع نفسك بالعبادة،
وخذ عفوها ونشاطها»، أي لا تقهر نفسك إذا كانت غير
مقبلة على النوافل والمستحبات العبادية، أعبد الله في وقت
تكون نفسك في راحة ووعي وانفتاح... في حديث للإمام علي
عليه السلام يؤكد هذا التوجّه:

«إنّ للقلوب إقبالا وإدبارا، فإذا أقبلت فاحملوها على
النوافل، وإذا أدبرت فاقتصروا على الفرائض».
أما الفرائض فهي مفروضة لا بدّ من أدائها في أوقاتها،
ومهما كانت الظروف النفسية والبيئية.

أفضل المؤمنين من يعرف كيف يستعدّ للقاء ربّه
وأخيراً يلجأ الإمام عليه السلام إلى تذكيره بالموت الذي ينتظر
كلّ مخلوق ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ [العنكبوت: ٥٧].
«وإياك أن ينزل بك الموت، وأنت آبق (هارب) من ربك
في طلب الدنيا».



حاول أن تستعدّ للموت الذي لا بدّ منه، فعندما يأتيك،
إحرص على أن تكون حاضراً منفتحاً على ربّك، وليس هارباً
منه، وما يجدي هذا الهروب والجميع في ملكه وفي قبضته
«هاربٌ منك إليك».

وكلمة «أبق» تعني خارجاً على طاعة ربّك، مبتعداً عن
تعاليمه، لذا يريد الإمام عليه السلام أن يؤكّد على طاعة الله، التي
هي سبيل النجاة، وطاعة الله تعني أن لا تظلم ولا تشتم ولا
تعتدي ولا تقارب المعاصي، ولا تقارب المحرّمات بكلّ أنواعها
وأشكالها... وبكلمة مختصرة أن لا تطلب الدنيا من أبواب
الحرام، بل من أبواب الحلال التي بدخولها يحصل المؤمن
على خير الدنيا وفلاح الآخرة.

ومن الأمور التي يستطيع المؤمن أن يحصّن نفسه، ويضمن
خاتمة حياته بالفوز بقاء ربّه:

أ - «إياك ومصاحبة الفسّاق، فإنّ الشرّ بالشرّ ملحق»؛ وهم
الذين يعصون الله، ويتعدّون حدوده، ولا يلتزمون أحكامه،
فعلى المؤمن أن يُحسن اختيار الصاحب أو الصديق،
نظراً لقدرة تأثير الواحد على الآخر، بفعل العاطفة
الشديدة التي تنشأ بينهما، فإذا لم يُحسن الاختيار،
فإنّ الأمور قد تؤدّي إلى الأسوأ، بفعل العدوى من جهة،

وخسارة ثقة الناس واحترامهم من جهة أخرى.

ب - «وَوَقَّرَ اللَّهُ، وَأَحَبَّ أَحْبَاءَهُ»: وتوقير الله تعالى يكون بأن تحمده، وتنثي عليه، وتشكره، وتذكره، وتطيعه في كل ما أمرك به، ثم تعيش عظمته في نفسك وأدائك.

ثم إنَّ عليك أن تحبَّ من يحبُّهم الله، وهم المحسنون، المتقون، الصادقون الأمانة... ودليل حبِّك لشخص ما، هو أن تحبَّ ما يحبه، وتكره ما يكرهه، فكيف سيكون حبُّك لله تعالى الذي لا يعادله حب.

ج - «واحذر الغضب، فإنه جند عظيم من جنود إبليس». إنَّ الإنسان إذا غضب نسي ربه، وإذا غضب فقدَّ عقله، وبذلك يكون قد فقدَّ توازنه واحترامه. والحديث يقول: «الغضب أوَّله جنون، وآخره ندم».

والله تعالى يريدنا أن نحترم عقولنا، لنحفظ من خلالها تماسك إيماننا، والحديث يركّز على ذكر الله تعالى أثناء الغضب لتلافي ما يحمل من سلبيات على صعيد العلاقات، ﴿أَلَا يَذْكُرُ اللَّهُ تَطْمِئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨].

«أذكرني في غضبك، أذكرك في غضبي، حتى لا أمحقك فيما أمحق».

«إذا دعتك قدرتك لأن تظلم أحداً، فاذكر قدرة الله عليك»



وما من يدٍ إلا يدُ الله فوقها وما ظالمٍ إلا سيّلى بأظلمٍ
يجب على المؤمن أن لا يعطي عقله إجازة مهما كانت الظروف،
فالعقل هو الذي يوازن لنا خطواتنا، وهو الذي نميّز به بين
الحسن والقبيح، وبين الخير والشرّ، والغضب هو الذي قد
يجعلنا مكشوفين في أسرارنا وخصوصياتنا أمام الآخرين،
فإذا أردت أن تكتشف صديقك في مزاجه وتفكيره، فامتحنه
عند الغضب:

أَغْضِبْ صَدِيقَكَ تَسْتَطْلِعَ سِرِّيرَتَهُ
للسّرّ نافذتان: السُّكْرُ والغَضَبُ.

«إحذر الغضب فإنّه جنْدٌ عَظِيمٌ من جنود إبليس» هذا هو
كلام الإمام علي عليه السلام، الكلام الذي يمثّل الحكمة والوعي
والمصلحة، والذي يرفعنا بالتقوى إلى الله تعالى، ويحلّق بنا
في أجواء السعادة في الدارين الأولى والآخرة، فتعالوا لنحلّق
في سماء علي عليه السلام الذي قال:

«أَلَا وَإِنَّ إِمَامَكُمْ قَدْ اكْتَفَى مِنْ دُنْيَاهُ بِطَمَرِيهِ، وَمِنْ طَعْمِهِ
بِقُرْصِيهِ، أَلَا وَإِنَّكُمْ لَا تَقْدِرُونَ عَلَى ذَلِكَ، وَلَكِنْ أَعْيُنُونِي
بورع واجتهاد وعفة وسداد».





२०



في العبادات ومكارم الأخلاق



من كلام لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام يوصي به أصحابه، وأصحابه في مدى الزمن هم الذين يلتزمون إمامته ونهجه وهداه.. من كلام له يعالج فيه قضايا حيوية في الإسلام تتصل بالعبادات ومكارم الأخلاق، وفي مقدمتها إقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، وأداء الأمانة، فيقول عليه السلام:

تَعَاهَدُوا أَمْرَ الصَّلَاةِ وَحَافِظُوا عَلَيْهَا وَاسْتَكْثَرُوا مِنْهَا وَتَقَرَّبُوا بِهَا فَإِنَّهَا ﴿كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا﴾ [النساء: ١٠٢] أَلَا تَسْمَعُونَ إِلَى جَوَابِ أَهْلِ النَّارِ حِينَ سُئِلُوا ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ﴾ [المدثر: ٤٢-٤٣] وَإِنَّهَا لَتَحْتَ الذُّنُوبِ حَتَّ الْوَرَقِ ^(١) وَتُطْلَقُهَا إِطْلَاقَ الرَّبِيقِ ^(٢) وَشَبَّهَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِالْحَمَةِ ^(٣) تَكُونُ عَلَى بَابِ الرَّجُلِ فَهُوَ يَغْتَسِلُ مِنْهَا فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ خَمْسَ مَرَّاتٍ فَمَا عَسَى أَنْ يَبْقَى عَلَيْهِ مِنَ الدَّرَنِ ^(٤) ...

(١) حَتَّ الْوَرَقِ عن الشجرة: أزال قشرها.

(٢) الرَّبِيقُ: حبل فيه عدة عرى كل منها رقيقة، فكان الذنوب ريق في الأعناق، والصلاة تنفكها منه.

(٣) الحمة: عين ماء حار يستشفى بها من العلال.

(٤) الدرن: الوسخ.



١ - التشديد على إقامة الصلاة

«... تعاهدوا أمر الصلاة...»: لتكن الصلاة لرَبِّكم موضع اهتمامكم، تعاهدوها كما يتعاهد الإنسان الأمور المهمة من حياته، صحَّته، معاشه، أمنه، استقراره، أسرته..

- «وحافظوا عليها...» التزموا بأوقاتها، تعلّموا أحكامها، لتعرفوا شروطها وأجزائها، بما يطرأ عليها من شكٍّ أو ظنٍّ أو خلل، فصحَّتها أساس في قبولها.

«واستكثروا منها...»: أن لا تقتصروا فقط على الصلاة الواجبة، فإذا اتَّسع لديكم الوقت، وانفتحت لها نفوسكم، فحاولوا القيام بالمزيد من النوافل المستحبة. وقد ورد في الحديث:

«إِنَّ الصَّلَاةَ خَيْرُ مَوْضُوعٍ، فَمَنْ شَاءَ اسْتَقَلَّ، وَمَنْ شَاءَ اسْتَكْثَرَ» فالإنسان حينما يُكثِّر من الصَّلَاة، فإنه ينفّث على الله تعالى أكثر، ليحصل من خلال ذلك على نتائج روحية وتربوية كبيرة، وعلى ثواب عظيم من الله تعالى:

﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

- «... وتقرَّبوا بها، فإنَّها ﴿كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا



مَوْفُوتًا» [النساء: ١٠٢]، تقربوا لله تعالى بالصلاة، لأنَّ الصلاة لقاء يومي بين العبد وربِّه، ومعراج المؤمن بروحه إليه. فالإنسان حين يقف في صلاته أمام الله يناجيه، وبين يديه يسترحمه ويبتهل إليه... فإنَّه يشعر أنَّه إلى جانبه، وفي مواقع القرب منه، في موقفٍ حميميٍّ يشهد له بالعبودية والوحدانية والطاعة المطلقة.. فالصلاة فريضة واجبة على المؤمنين الذين عليهم أن يؤدّوها في أوقات محدّدة، إذ من خلال الالتزام بإقامتها يتحدّد مصير الإنسان في الآخرة، ويظهر ذلك من خلال الحوار القرآني بين أهل الجنّة المصلّين، وبين أهل النار المنكرين أو المتساهلين الغافلين: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ * قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمَصْلُينَ﴾ [المدثر: ٤٢-٤٣].

وسَقَر هي منطقة من جهنّم، قد تختصّ بعذاب التاركين للصلاة وغيرها. وهذا يفرض على المسلم المؤمن أن يقيم الصلاة ويحافظ عليها، ويشجّع الآخرين على أدائها بأحكامها وشروطها، وبالأخصّ أولاده وأقرباءه، فمن يحبّ أولاده وإخوانه ولا يريد لهم العذاب في نار جهنّم، فإنّ عاطفته الأبويّة تفرض عليه استخدام مختلف الوسائل الممكنة من أجل أن يربّيهم على الصلاة، ويعمّق الارتباط بأجوائها،

وقد ورد في القرآن الكريم هذا التوجيه: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ [طه: ١٣٢].

٢ - من فوائد إقامة الصلاة

والله تعالى لا يأمر بالصلاة وغيرها عبثاً، إذ من وراء كل أمر فائدة أو حكمة، قد ندرکها، وقد لا ندرکها بفعل قصورنا عن الإحاطة بكل الأمور: ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلاً﴾ [الإسراء: ٨٥].

فبالإضافة إلى كونها تنهى عن الفحشاء والمنكر، فإنها:
- «... لَتَحُتَّ الذُّنُوبُ حَتَّ الْوَرَقِ، وَتَطْلُقَ إِطْلَاقَ الرِّبْقِ»:
فكما تتساقط في الخريف أوراق الشجر، كذلك الذنوب فإنها تتساقط من المصلي عند صلاته، وكما يتحرر الإنسان عندما تُفكَّ عنه القيود، كذلك الذنوب فإن المصلي يتحرر منها في حال أدائه للصلاة أيضاً.

- ورد عن النبي ﷺ: «أَيَسِّرْ أَحَدَكُمْ أَنْ يَكُونَ عَلَى بَابِهِ حِمَّةٌ، يَغْتَسِلُ مِنْهَا كُلَّ يَوْمٍ خَمْسَ مَرَّاتٍ فَلَا يَبْقَى مِنْ دَرْنِهِ شَيْءٌ؟ قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ ﷺ: إِنَّهَا الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ».

فبالصلاة يغتسل المؤمن من ذنوبه، وقد ورد في تفسير



الآية: ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾ [هود: ١١٤]، أي إن كل صلاة يصلّيها الإنسان تُذهب الذنوب التي قبلها.

وقد قيل: بعد أن سمع إبليس هذه الآية الكريمة، جمع جنوده، وقال لهم: ماذا نفعل بهذه الآية، وهي التي تمحو كل ذنب نُزِيْنَهُ للإنسان المصلّي؟ وبذلك فإن كل جهودنا تذهب أدراج الرياح.

تقول الرواية: هنا قام الوسواس الخناس، وقال: أنا لها...

قال إبليس: كيف؟

أجابه: نضلّ معهم فتوقعهم في الخطيئة، ثم تنسيهم التوبة، وبالتالي تنسيهم الصلاة. وهذا أمر يجب أن نفكر فيه ونأخذه بعين الاعتبار، فبعض الناس ممن لديهم عمل، يقول: أؤجل صلاتي، والبعض الآخر: لا أقدر أن أصلي فعندي ضيوف، وسوف أقضيها فيما بعد... وإذا كان مسافراً في طائرة يخجل من الصلاة أمام الآخرين، وهكذا يتهاون في صلاته حتى يصل به الحال إلى تركها دون أن يؤنّب ضميره، وهذا هو عمل الشيطان، الوسواس الخناس، والله تعالى يحذّر من ذلك فيقول: ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ * الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ [الماعون: ٤-٥]، فعلى الإنسان أن



يحافظ على صلاته، ولا يستهين بأدائها في وقتها، فهي التي ترفع من مكانته عند الله، وهي التي تَحُتُّ الذنوب كما تتساقط الأوراق في الخريف، وهي التي تغسل عن إنسانها دَرَنَ الذنوب خمس مرات في اليوم الواحد.

وَقَدْ عَرَفَ حَقَّهَا رَجَالٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ لَا تَشْغُلُهُمْ عَنْهَا زِينَةُ مَتَاعٍ وَلَا قَرَّةُ عَيْنٍ مِنْ وَلَدٍ وَلَا مَالٍ، يَقُولُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿رَجَالٌ لَا تُلْهِهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ﴾ [النور: ٢٧]

وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ نَصَبًا^(١) بِالصَّلَاةِ بَعْدَ التَّبَشِيرِ لَهُ بِالْجَنَّةِ لِقَوْلِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ [طه: ١٣٢] فَكَانَ يَأْمُرُ بِهَا أَهْلَهُ وَ يُصْبِرُ عَلَيْهَا نَفْسَهُ.

٣ - رجال الصلاة

وهم المؤمنون الذين يتعهدون أمر الصلاة، ويحافظون على أدائها في أوقاتها، ويستكثرون منها ليلاً ونهاراً، ويتقربون إلى الله سبحانه خاشعين خاضعين، قدوتهم في ذلك رسول الله ﷺ وهو المبشر بالجنة، الذي كان يُتعب نفسه بالصلاة، امتثالاً لأمر الله تعالى:

(١) نَصَبًا: تَبَيُّاً.

﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ [طه: ١٣٢]، فكان يأمر بها أهله، ويصبر عليها نفسه، مهما كانت حالته الصحية سيئة، فكان يقوم الليل بطوله حتى تتورم قدماه، حتى أن إحدى زوجاته استكثرت ذلك فقالت: مالك تتعب نفسك، والله غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ فكان جوابه: «أفلا أكون عبداً شكوراً».

هؤلاء المؤمنون الذين اتخذوا من رسول الله ﷺ الأُسوة الحسنة، هم رجال لا يشغلهم عن الصلاة متاع الدنيا من مال وجاه وولد، إنهم باعوا أنفسهم لله تعالى، وانقطعوا إلى عبادته في الصلاة والزكاة والدعاء وتلاوة القرآن.. ثم إنهم تحمّلوا مسؤولية تربية أولادهم على تعلّم الصلاة وتأديتها في أوقاتها، ثم التوجّه الروحي في كلّ مفرداتها من قيام وركوع وسجود وتشهّد وتسليم.

ثُمَّ إِنَّ الزَّكَاةَ جُعِلَتْ مَعَ الصَّلَاةِ قُرْبَانًا لِأَهْلِ الْإِسْلَامِ فَمَنْ أَعْطَاهَا طَيِّبَ النَّفْسِ بِهَا فَإِنَّهَا تَجْعَلُ لَهُ كَفَّارَةً وَمِنْ النَّارِ حِجَازًا وَوَقَايَةً فَلَا يَتَّبِعْنَهَا أَحَدٌ نَفْسَهُ ^(١) وَلَا يَكْثُرَنَّ عَلَيْهَا لَهُفَةٌ فَإِنْ مَنْ أَعْطَاهَا غَيْرَ طَيِّبِ النَّفْسِ بِهَا يَرْجُو بِهَا

(١) أي من أعطى الزكاة، فلا تذهب نفسه مع ما أعطى، تملّأ به، ولهفاً عليه.

مَا هُوَ أَفْضَلُ مِنْهَا فَهُوَ جَاهِلٌ بِالسُّنَّةِ مَغْبُونٌ الْأَجْرِ^(١) ضَالٌّ
الْعَمَلِ طَوِيلُ النَّدَمِ.

٤ - إيتاء الزكاة بأداء طيب

«... ثم إنَّ الزكاة جُعِلَتْ مع الصلاة قرباناً لأهل
الإسلام...»: في آيات قرآنية عديدة يترافق تعبير إقامة
الصلاة بإيتاء الزكاة.. ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ
الرَّاكِعِينَ﴾ [البقرة: ٤٣].

﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا
عَابِدِينَ﴾ [الأنبياء: ٧٣].

فالزكاة هي ما يطهر المال وينميه، وهي تشمل كل
الضرائب المالية والحقوق الشرعية، بما فيها الخمس،
والمسلمون يدفعونها قربة إلى الله تعالى. وحتى تكون الزكاة
خالصة لوجه الله تعالى لا منة فيها ولا استعلاء، لا بد وأن
تصدر عن طيب نفس، أي برغبة واندفاع، لتكون كفارة لذنوب
معطيها، وحاجزاً ووقاية من عذاب النار.

فمن يعطي الزكاة، عليه «أَنْ لَا يُتْبِعَنَّهَا أَحَدٌ نَفْسَهُ»، أي
عندما يعطي لا يبقى يفكر كيف دفعت؟.. ولماذا دفعت؟.. عليه

(١) مغبون الأجر: منقوصة.



أن يشعر بالواجب الإلهي الذي يفرض عليه دفعها في مواردها المحددة، وبالأخص حين يتذكر الآية القرآنية التي تعتبر أن مال الزكاة هو بالأصل مال الله الذي جعلنا مستخلفين فيه.

﴿وَأَنذَرُوهُمْ مِّن مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ...﴾ [النور: ٢٢]

﴿وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾ [الحديد: ٧]

«ولا يكثرن عليها لهفه...» ... أي أن لا يرجوها ما هو أفضل منها. أي لا يعيش روحية التجارة، بل روحية العطاء قربة لله، وامتنالاً لأمره. وإلا فإنه جاهل بالسنة، لا يحصل على الأجر الذي أعدّه الله للمنفقين الأتقياء، وإلا فهو أيضاً ضالّ العمل، طويل الندم، لأنه لم يؤدّ ما فرض الله عليه برغبة وعفوية.

ثُمَّ آدَاءَ الْأَمَانَةِ فَقَدْ خَابَ مَن لَيْسَ مِنْ أَهْلِهَا إِنَّهَا عُرِضَتْ عَلَى السَّمَاوَاتِ الْمَبْنِيَّةِ وَالْأَرْضِينَ الْمَدْحُورَةِ وَالْجِبَالِ ذَاتِ الطُّوْلِ الْمَنْصُوبَةِ فَلَا أَطُولُ وَلَا أَعْرُضُ وَلَا أَعْلَى وَلَا أَعْظَمُ مِنْهَا وَلَوْ اِمْتَنَعَ شَيْءٌ بِطُولٍ أَوْ عَرْضٍ أَوْ قُوَّةٍ أَوْ عِزٍّ لَا مَتَنَعَنَ وَلَكِنْ أَشْفَقَنَ مِنَ الْعُقُوبَةِ وَعَقَلَنَ مَا جَهَلُ مَن هُوَ أَوْ أَوْضَعُفُ مِنْهُمْ وَهُوَ الْإِنْسَانُ ﴿إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ [الأحزاب: ٧٢]. إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لَا يَخْفَى عَلَيْهِ مَا الْعِبَادُ مُقْتَرِفُونَ فِي لَيْلِهِمْ وَنَهَارِهِمْ، لَطَفَ بِهِ خُبْرًا،

وَأَحَاطَ بِهِ عِلْمًا، أَعْضَاؤُكُمْ شُهُودُهُ، وَجَوَارِحُكُمْ جُنُودُهُ،
وَضَمَائِرُكُمْ عِيُونُهُ، وَخَلَوَاتُكُمْ عِيَانُهُ.

دور الأمانة في توازن شخصية المسلم

الأمانة عنصر من العناصر الأساسية التي تساهم في توازن واستقامة شخصية المسلم، فقد ورد في الحديث: «لا دين لمن لا أمانة له». والله تعالى يؤكد على الأمانة في صفات المؤمنين، فيقول في القرآن المجيد: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾ [المعارج: ٢٢].

وروي عن رسول الله ﷺ وهو يتحدث عن المقياس الذي نقيس به مكانة الأشخاص: «لا تنظروا إلى كثرة صلاتهم وصومهم، وكثرة الحج والمعروف، وطننتهم بالليل، ولكن انظروا إلى صدق الحديث وأداء الأمانة».

والأمانة لا تشمل فقط حفظ مال الغير الذي أودع لدينا، بل يتسع إلى:

- أمانة العمل والوظيفة، فلتتزم بالقوانين والضوابط.
- أمانة الأسرار التي نؤتمن على الحفاظ على سرّيتها.
- أمانة المال العام، فتحافظ على مال الدولة الذي هو مال الأمة.

- وكذلك أمانة الدين، وأمانة الوطن، وأمانة الصوت
الانتخابي الذي تطلقه..

وتوكيداً لذلك ورد في الحديث: «أعظم الخيانة خيانة
الأمّة». ثم إنّ أداء الأمانة أمر خطير، فقد عرضها الله
تعالى على السموات المبنية، والأرضين المدحوة، والجبال
ذات الطول المنصوبة.. فأبَيْنَ أن يحملنها وأشفقن منها،
لأنهن عقلن ضخامة مسؤوليّة الالتزام بها، أمّا الإنسان الذي
هو أقلّ طولاً، وعرضاً، وقوّة، وعزّاً... فقد بادر إلى حملها،
موطّناً نفسه على الالتزام بها، مع غفلته عن النتائج التي
تترتّب عليها.

ثم يختم الإمام علي عليه السلام كلامه بتوجيهات محذراً من
نتائج المسؤولية:

- فالله تعالى هو الذي يعلم السرّ وأخفى، وهو الذي لا
يخفى عليه ما العباد مقترفون في ليالهم ونهارهم، إنّّه يعلم
خائنة الأعين وما تُخفي الصدور.

- «لَطَفَ بِهِ خَبْرًا».. فهو اللطيف في خبرته بالأشياء:

﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الملك: ١٤]

- «وأحاط به علماً».. فالله تعالى هو عالم الغيب
والشهادة... ﴿وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الطلاق: ١٢]،



فأين المفر؟ وأين المهرب؟

- «أَعْضَاؤُكُمْ شُهُودُهُ».. والشهود على أَعْمَالِنَا لدى الله
في يوم الحساب هم جوارحنا الذين هم جنوده: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ
عَلَيْهِمْ أَيْدِيهِمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النور: ٢٤].

- «وَضُمَائِرُكُمْ عِيُونُهُ»، وخلواتكم عيانه.. فعندما تكونون
وحدكم فالله تعالى حاضر معكم ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا
هُوَ رَابِعُهُمْ...﴾ [المجادلة: ٧]، يراكم من حيث لا ترونه، ولذلك
يحذر الإمام علي عليه السلام بقوله: «اتَّقُوا مَعَاصِي اللَّهِ فِي
الْخُلُوتِ، فَإِنَّ الشَّاهِدَ هُوَ الْحَاكِمُ».

هذه هي كلمات علي عليه السلام التي تفتح قلوبنا وعقولنا على
مسؤولياتنا في عبادة ربنا، والقيام بكل ما حملنا إياه من رعاية
أنفسنا، وخدمة كل من يحيط بنا، هذا هو هدى علي عليه السلام،
وهدى علي عليه السلام هو هدى رسول الله ﷺ، وهدى رسول الله ﷺ
هو هدى الله تعالى.



العلاقة الروحية مع الله تعالى





من موقعنا الإسلامي، وفي حال عبوديتنا لله تعالى، يريد
منّا الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام أن نستقبل الصباح من
كلّ يوم، كما المساء، ونحن في يقظة إيمانية، نستذكر نعم الله
والطافه، ونتحسّب وجوده ورحمته، ونعيش حضوره ورقابته،
ونشعر أنّ وجودنا مرتبط به، وأنّه مهما امتدّت بنا الحياة،
ومهما حصلنا منها على مواقع القوّة، فنحن مفتقرون إلى
عونه ورحمته.

في كلّ صباح كان الإمام علي عليه السلام يفتح على ربّه
بالدعاء، ليعلمنا أن الدعاء غذاء الرّوح، الذي يوثّق الصلّة
اليوميّة بالله، بحيث نشعر به حاضراً في كلّ تفاصيل حياتنا..
فالإمام عليه السلام يعرف، أنّ مشكلة المسلم وهو يخوض غمار
الحياة بالنشاط والعمل قد يغفل، فينسى ربّه، بحيث لا
يشعر به حاضراً في عقله ووجدانه حينما يصليّ ويدعو ويتلو
القرآن.. فالصلوة وكلّ العبادات تتحوّل إلى أعمال وحركات
تقليدية جامدة لا روح فيها.



يريد الإمام عليه السلام من كل مسلم أن يستقبل صباحه، ويختتم مساءه بالدعاء ليشكره على نعمه، ويحمده على لطفه به ورحمته، فهذا هو يرفع يديه بالدعاء فيقول:

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يُصْبِحْ بِي مَيِّتًا وَلَا سَقِيمًا، وَلَا مَضْرُوبًا
عَلَى عُرْوَقِي بِسُوءٍ، وَلَا مَأْخُوذًا بِأَسْوَأَ عَمَلِي، وَلَا مَقْطُوعًا
ذَابِرِي، وَلَا مُرْتَدًّا عَنْ دِينِي، وَلَا مُنْكَرًا لِرَبِّي، وَلَا مُسْتَوْحِشًا
مِنْ إِيْمَانِي، وَلَا مُلْتَبِسًا بِعَمَلِي، وَلَا مُعَذِّبًا بِعَذَابِ الْأُمَمِ مِنْ
قَبْلِي. أَصْبَحْتُ عَبْدًا مَمْلُوكًا ظَالِمًا لِنَفْسِي، لَكَ الْحُجَّةُ عَلَيَّ
وَلَا حُجَّةَ لِي، وَلَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَخْذَ إِلَّا مَا أُعْطَيْتَنِي، وَلَا أَتَقِي إِلَّا
مَا وَقَيْتَنِي.

اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَفْتَقَرَ فِي غِنَاكَ، أَوْ أَضِلَّ فِي هُدَاكَ،
أَوْ أَضَامَ فِي سُلْطَانِكَ، أَوْ أَضْطَهَّدَ وَالْأَمْرُ لَكَ!

اللَّهُمَّ اجْعَلْ نَفْسِي أَوَّلَ كَرِيمَةٍ تَنْتَزِعُهَا مِنْ كَرَامَتِي، وَأَوَّلَ
وَدِيعَةٍ تَرْتَجِعُهَا مِنْ وَدَائِعِ نِعَمِكَ عِنْدِي!

اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ أَنْ نَذْهَبَ عَنْ قَوْلِكَ، أَوْ نُفْتَتِنَ عَنْ دِينِكَ،
أَوْ تَتَابَعَ بِنَا أَهْوَاؤُنَا دُونَ الْهُدَى الَّذِي جَاءَ مِنْ عِنْدِكَ!

في هذا الدعاء الصباحي يلتفت الإمام عليه السلام إلى بعض
نعم الله تعالى عليه، وما يحمل من إيجابيات تتمثل في كل
حياته.



١- الحياة والصحة

«الحمد لله الذي لم يُصَبِّحْ بي ميتاً ولا سقيماً، ولا مضروراً على عروقي بسوء..»

- أحمّدك يا ربّ أني أصبحت في هذا اليوم، وحركة الحياة تسري في جسدي، وقد مات فيه أناس آخرون غيري، والحياة والموت بيدك. فأنت واهب الحياة، وأنت قاهر الإنسان بالموت.

أحمّدك يا ربّ أني أصبحت في هذا اليوم، وعافية الصحة يضجّ بها بدني، وقد استفاق آخرون غيري وهم يعانون ويتألّمون، والصحة والمرض بيدك يا ربّ، الحمد لله على أني أعيش سلامة كلّ أعضائي، وأجهزة جسمي، فلا مرض، ولا سوء، ولا شلل يمنعني من النشاط والعمل والحركة.

٢- السلامة من سوء العمل

«ولا مأخوذاً بأسوأ عملي، ولا مقطوعاً دابري...»

- أحمّدك يا ربّ في هذا الصباح، أنني أفقت وأنا في سلامة من ديني، فأنت ولك الحمد لم تؤاخذني بما أسأت فيه من العمل.



وهنا لا بدّ من الإشارة إلى أنّ هذا الدعاء منسوب للإمام علي عليه السلام، والإمام معصوم، بل هو فوق العصمة، فكيف ينسب إلى نفسه سوء العمل، وكيف يقول: «ولا مأخوذاً بأسوأ عملي...» ... إنّ الإمام علياً عليه السلام هنا ينطق بصفة إنسانيته، لا بصفة معصوميته، فالله تعالى يخاطب النبي ﷺ في القرآن الكريم بالقول: ﴿وَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ﴾ [النساء: ١٠٦] والنبي ﷺ معصوم، والاستغفار هنا يتّصل بعنصر الإنسانيّة فيه، وهناك يرد تفسير آخر وهو أن الاستغفار قد يُستعمل في عملية التواضع أمام الله، بحيث يُظهر نفسه وكأنّه خاطئ وهو ليس بخاطئ.

– أحمّدك يا ربّ أيضاً بأن أصبحت وأولادي يعيشون معي، فأنت لم تقطع نسلي، ولم تحرمني نعمة العيش معهم، وأنت يا ربّ بيدك الأمر كلّ، وعقابك لقوم لوط كان: ﴿أَنْ دَابِرَ هَؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ﴾.

٣- السّلامة في الدين

«ولا مرتدّاً عن ديني، ولا مُنكراً لربّي، ولا مستوحشاً من

إيماني...»

– أحمّدك يا ربّ وأشكرك على أن أصبحت وأنا في

سلامة من ديني، فأنا لا أزال أعيش نعمة الإيمان، رغم كل ما يحيط بي من مغريات وشهوات وتحديات، رغم كل ما يحاول الشيطان من إثارة الإغراءات والوساوس، فأنا أردد: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ * مَلِكِ النَّاسِ * إِلَهِ النَّاسِ * مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ * الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ * مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾ [الناس: ١-٥].

– أحمذك يا رب أنني لا أزال مؤمناً بربي، ممتثلاً لكل ما يريد ويرغب، فلست مستوحشاً من إيماني، الإيمان الذي أعيش فيه السعادة الروحية بالانفتاح على الله تعالى بكل قوة وحيوية، وبكل وعي وفطنة، فأنت حاضر في نفسي وعقلي ووجداني، العقل الذي منحني فيه الصحة التي هي عنوان توازن شخصية الإنسان، أحمذك أنني لا أزال في حالة توازن عقلي واستقرار نفسي ونشاط جسدي.

٤- السلامة من العذاب

«ولا معذباً بعذاب الأمام من قبلي...»

– أحمذك يا رب أنني أصبحت وأنا آمن من عذابك، العذاب الذي ينال أهل معصيتك، والذي نال أهل الأمام السابقة في التاريخ بفعل انحرافاتهم، الحمد لله الذي لم ينزل العذاب



على الأمة التي أعيش بين ظهرانيها، رغم ما يقوم به الناس من أخطاء وذنوب وجرائم، فأنت الذي أعطيت الأمة الأمان: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ﴾ [الأنفال: ٢٢].

٥ - عفوك يا رب

«أصبحت عبداً مملوكاً ظالماً لنفسي، لك الحجة عليّ، ولا حجة لي، ولا أستطيع أن آخذ إلا ما أعطيتني، ولا أتقي إلا ما وقيتني...»

– أحمدك يا ربّ على إحساسي العميق بعبوديّتي لك، فأنا العبد الخاضع، الخاشع، المملوك الذي لا يملك لنفسه ضرراً ولا نفعاً، فأنت الذي خلقتني بقدرتك، وأفضت عليّ كلّ نعمك.. ومع ذلك فأنا ظالم لنفسي، لم أفعل ما أمرتني به، ولم أترك ما نهيتني عنه.

﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [النحل: ١١٨]

فلك الحجة عليّ يا ربّ، فأنت أعطيتني العقل فلم أستخدمه بما ينفع نفسي والناس من حولي... وأعطيتني اللسان فلم أتكلّم به بما يثير الأمن في حياة الناس... وأعطيتني الأذن فلم أسمع بها ما يثقف ويربّي، وهكذا مختلف الحواس والقوى الأخرى، ﴿أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ * وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ *



وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ﴿[البعد: ٨ - ١٠]، ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ [الإنسان: ٢].

فلك الحجة عليّ يا ربّ، ولا حجة لي فيما جرى عليّ في قضائك، وألزمني فيه حكمك وبلاؤك، فأنا لا أستطيع أن آخذ إلاّ ما أعطيتني، لأنّ ما بنا من نعمة فمن الله، والله تعالى يقول: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [النحل: ١٨].

ولكن، وبالرغم من ذلك، ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لَقَفَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ [إبراهيم: ٢٤]، يظلم نفسه، ويظلم ربّه، ويكفر بنعمه، مع العلم أنّه عاجز لا يستطيع أن يأخذ إلاّ ما يفيض عليه ربّه، ولا يستطيع أن يتّقي، ويصرف عن نفسه الأخطار والأمراض والآلام، إلاّ بما يقيه به ربّه.

٦- أنا الفقير فأعطني

«اللهم أنّي أعوذ بك أن أفترق في غناك...»

أنت - يا ربّ - الغني، مالك السماوات والأرض، تعطي من تشاء، وتمنع من تشاء، بحكمتك ورحمتك..
وأنا - يا ربّ - الفقير إليك في كل أموري، أتطلّع مستجيراً إلى غناك، الذي يمتدّ ليحيط بكل الموجودات والمخلوقات،

أَغْنِنِي - يَا رَبِّ - مِمَّا تَمْلِكُهُ مِنِّي وَمِنَ الْوُجُودِ كُلِّهِ، حَتَّى أَكُونَ
الْغَنِيِّ بِكَ، وَلَا أَكُونَ الْفَقِيرَ فِي مَوَاقِعِ غِنَاكَ.

٧- وَأَنَا الضَّالُّ فَاهْدِنِي

«أَوْ أَضِلُّ فِي هَذَاكَ...»

فَأَنْتَ الْهَدَى كُلَّهُ، أَنْتَ الَّذِي أَعْطَيْتَ عَقْلِي النُّورَ الَّذِي
أَهْتَدِي بِهِ إِلَى مَعْرِفَتِكَ، وَأَنْتَ الَّذِي أَعْطَيْتَ قَلْبِي الْإِحْسَاسَ
بِعَظَمَتِكَ... وَأَنْتَ الَّذِي أَرْسَلْتَ الرُّسُلَ مِنْ أَجْلِ أَنْ يَكُونُوا
دَلِيلًا إِلَى صِرَاطِكَ الْمُسْتَقِيمِ.

يَا رَبِّ.. عَنَاصِرُ الضَّلَالِ تَحِيطُ بِي، وَهَنَاكَ الْكَثِيرُونَ
يُرِيدُونَ أَنْ يَنْحَرِفُوا عَنْ هَذَاكَ، وَهَذَا هُوَ مَنْتَهَى
الْبَلَاءِ..

يَا رَبِّ.. اجْعَلْ هَذَاكَ يُشْرِقُ فِي عَقْلِي، وَفِي قَلْبِي، وَفِي
حَيَاتِي، حَتَّى لَا أَكُونَ الضَّالُّ فِي سَاحَةِ هَذَاكَ، فَاهْدِنِي
لِمَعْرِفَتِكَ وَعِبَادَتِكَ وَطَاعَتِكَ.

٨- وَأَنَا الذَّلِيلُ فَأَعِزَّنِي

«... أَوْ أَضَامُ فِي سُلْطَانِكَ، أَوْ أَضْطَهُدُ وَالْأَمْرَ لَكَ...»
فَأَنْتَ يَا رَبِّ تَمْلِكُ السُّلْطَةَ كُلَّهَا، فَأَنْتَ الْمَهِيْمُنُ عَلَى الْأَمْرِ
كُلِّهِ، فَالْقُوَّةُ لَكَ، وَالْعِزَّةُ لَكَ..



اجعلني - يا ربّ - عندما أعيش مع الناس في منأى عن
ظلمهم، فلا تسمح لهم بأن يذلّوني، ويأكلوا حقوقي، ويمارسوا
عليّ سياسة الاضطهاد والاستكبار، مع أنّ القوّة والعزّة والأمر
لك وحدك لا شريك لك.

٩- واجعل أفضل أيّامي خواتيمها

«اللّهم اجعل نفسي أول كريمة تنتزعها من كرائمي،
وأول وديعة ترتجعها من ودائع نعمك عندي..»
اللّهم اجعل كلّ قيم الإيمان والروح والأخلاق التي أملكها
رصيدي الأخروي يوم ألقاك..

«اللّهم إني أسألك إيماناً لا أجل له دون لقائك، أحييني ما
أحييتني عليه، وتوفّني إذا توفّيتني عليه..»

اللّهم اجعل كلّ ما أملك من أسرار معرفتك، وكلّ ما ألتزم
به من وعي عبادتك، وكلّ ما أتمتّع به من عقل سليم، وعلم
وفير، وإيمان صادق شفاف، وكلّ ما أوّمن به من حقّ وخير
وعدل.. ذخيرة باقية إلى آخر حياتي، تحقّق لي رضاك
ورضوانك والفوز بثوابك.

أرجوك يا ربّ أن لا تنتزع منّي شيئاً.. هذه الكرائم التي
يُكرم الإنسان بها نفسه، ويحصل على كرامة الناس من حوله،



وينال بها أفضل الجزاء بعد موته. كما أنك - يا ربّ - أودعت في نفسي خصالاً طيبة، وقيماً عظيمة، التي تمثل سمو الإيمان بذاتي، وعظمة العقل في كياني، وحركة الخير في سلوكي... أرجوك أن تبقّيها لي إلى نهاية حياتي.. لأواجهك بها وأنا مستحقٌّ لتوبتك.

«اللهم إنا نعوذ بك أن نذهب عن قولك، أو أن نفتتن عن دينك، أو نتابع بنا أهواؤنا دون الهدى الذي جاء من عندك».

اللهم إنا نعوذ بك أن نذهب عن قولك في كل ما أنزلته من آيات تفتح عقولنا وقلوبنا، وتستقيم بها حياتنا، ونفتح بها على كل آفاقك الخيرة.

يا ربّ اجعلنا نعي كلماتك لفهمها، ونتدبرها، ونحوّلها إلى عقل في عقولنا، وإلى وعي في قلوبنا.. أن تكون كلماتك منهجاً لكل العقلاء الواعين الذين يسمعون القول، فيتبعون أحسنه، هؤلاء الذين أعطيتهم البشارة، هؤلاء المتّقون الذين ينفقون أموالهم في السراء والضراء، هؤلاء الكاظمون للغيظ، والعافون عن الناس، والمحسنون الذين يحبّون الله ويستغفرونه، والفائزون الذين أعدّ الله لهم الجنة خير ثواباً، وحسّنت مرتفعاً.



– اللهم إنا نعوذ بك أن نذهب عن قولك، لنتبّع أقوال
الناس الذين تمتلئ كلماتهم بالضلال والانحراف.

مع الله تعالى في كلماته

في هذه الفقرة من الدعاء يريد الإمام علي عليه السلام أن نتقّف
بكلام الله تعالى، فيكون أوّل ثقافة تدخل عقولنا، وأوّل معرفة
تخزنها قلوبنا، وأوّل خطّ تتحرّك فيه خطواتنا.. أن لا تكون
أقوال الناس أرجى لنا من أقوال الله، فالله هو الحقّ، ودينه
وشريعته وكلماته هي الحقّ، وما دون ذلك هو ضلال وباطل.
إذا استمعنا إلى قول الله تعالى، فعلينا أن نفتح له عقولنا
لتفكّر، وقلوبنا لتنبض به، وحياتنا لتتحرّك معه.

«اللهم إنا نعوذ بك أن نذهب عن قولك، أو أن نفتتن
عن دينك..» أي أن يفتتننا الناس بما يقدّمونه لنا من
إغراءات، أو بما يقحمونه علينا من شبهات، أو بما يثيرونه
أمامنا من تهاويل، من أجل أن نتحرف عن دينك، فتتبّع
سبل الضلال.

يا ربّ.. إنّ دينك هو الهدى، كلّ الهدى، وهو الصراط
المستقيم الذي أمرتنا بأن نتّبعه، ولا نتّبِع السبل الأخرى
فتفرّق بنا عن سبيله.



يا ربّ.. نَجِّنَا مِنْ كُلِّ الْفِتَنِ الَّتِي تُطَبِّقُ عَلَيْنَا، فَتَخْضَعُ
لِسُلْطَانِ الْأَهْوَاءِ وَالشَّهَوَاتِ، مِنْ أَجْلِ أَنْ نَفُوزَ بِالْجَنَّةِ الَّتِي
جَعَلْتَهَا لِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى، وَنَتَّقِي
النَّارَ الَّتِي جَعَلْتَهَا جَزَاءً لِمَنْ طَغَى وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا.
يا ربّ.. أَنْقِذْنَا مِنْ أَهْوَاءِ أَنْفُسِنَا الَّتِي تَنْحَرِفُ بِنَا عَنْ خُطِّ
الْهُدَى الَّذِي جَاءَ مِنْ عِنْدِكَ، وَأَمَرْتَ بِهِ، وَتَجَاوِزِي عَلَى ضَوْءِ
الْإِتِّزَامِ بِهِ.

مع الإمام علي عليه السلام في علاقته بالله تعالى

هذا هو دعاء علي عليه السلام، وكَمَ لِعَلِيٍّ مِنَ الدُّعَاءِ مَا يَسْمُو
بِالْعَقْلِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَمَا يَحَرِّكُ نَبْضَاتِ الْقَلْبِ فِي أَجْوَاءِ
مَحَبَّةِ اللَّهِ تَعَالَى.. هَذَا هُوَ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ الَّذِي عَرَفَ اللَّهَ كَمَا
لَمْ يَعْرِفْهُ أَحَدٌ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَالَّذِي انْفَتَحَتْ لَهُ آفَاقُ
الْمَعْرِفَةِ بِاللَّهِ تَعَالَى حَتَّى قَالَ: «لَوْ كُشِفَ لِي الْغُطَاءُ مَا
ازْدَدْتُ يَقِينًا»، أَيْ لَوْ كُشِفَتْ لِي كُلُّ حِجَابِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ،
وَكُلُّ حِجَابِ الْغَيْبِ لَمَا ازْدَدْتُ يَقِينًا، لِأَنَّ يَقِينِي انْطَلَقَ مِنْ كُلِّ
هَذَا الصَّفَاءِ الرُّوحِيِّ، وَالسَّمَوِّ الْعَقْلِيِّ الَّذِي عَرَفْتَهُ فِي اللَّهِ
تَعَالَى، فَعَلِيٌّ فِي كُلِّ ذَلِكَ أَحَبُّ اللَّهِ كَمَا لَمْ يَحِبَّهُ أَحَدٌ بَعْدَ
رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، أَلَسْنَا نَقْرَأُ مَعَهُ فِي دُعَاءِ كَمِيلٍ:



«فهبني يا إلهي صبرت على عذابك، فكيف أصبر على
فراقك، وهبني يا إلهي صبرت على حرّ نارك، فكيف أصبر
عن النظر إلى كرامتك»

لو عذّبتني - يا ربّ - بكلّ ألوان العذاب، ربّما أصبر على
عذابك وأتحمل، ولكن الشيء الذي لا أستطيع تحمّله هو
فراقك، فأنا الذي بلغت من حالة العشق ما لم يصل إليه
مخلوق عادي، وهبني يا إلهي صبرت على حرّ نارك، والجسد
لا يصبر على حرّ النار، فكيف أصبر عن النظر إلى كرامتك،
والتطلّع إلى رحمتك.. فأنا في كلّ حياتي أتقلب في محيط
نعمك ولطفك وحنانك ورحمتك وكرامتك، لكن إذا أقيتني
في النار، فإنّي سأفقد كلّ نعمائك وحبّك وكرامتك، وأنا لا
أتحمل ذلك كلّهُ.

وفي دعاء آخر يخاطب الإمام علي عليه السلام ربّه بالقول:
«وكيف تعذّبني وحبّك في قلبي»، فأنت - يا ربّ - تعذّب
الجاحدين والمنحرفين، وأنا والحمد لله لست منهم، فحبّك
ملاً كلّ قلبي، وقلبي لا يجتمع فيه حبّان أبداً حبّ الله وحبّ
الشیطان، إنّ الحبّ الوحيد الذي يدخل عقلي وقلبي ووجداني
هو حبّك وحبّ أوليائك.

جاء في الحديث القدسي: «ما وسعتني أرضي ولا سمائي،


ولكن وسعني قلبُ عبدِي المؤمن»، إِنَّ الإمام علياً عليه السلام يعلمنا كيف نحبَّ الله تعالى، وكيف نتقرب منه، ونلجأ إليه، وكيف نوحِّده في طلب الحاجات وإقالة العثرات.. وهذا هو ما عبَّر عنه ولده الإمام علي بن الحسين عليه السلام الذي عاش مع الله في كلِّ حياته:

«اللَّهُمَّ إِنِّي أَخْلَصْتُ بَانْقِطَاعِي إِلَيْكَ، وَأَقْبَلْتُ بِكُلِّي عَلَيْكَ، وَصَرَفْتُ وَجْهِي عَمَّنْ يَحْتَاجُ إِلَى رِفْدِكَ، وَقَلْبْتُ مَسْأَلَتِي عَمَّنْ لَمْ يَسْتَغْنِ عَنْ فَضْلِكَ، وَرَأَيْتُ أَنَّ طَلِبَ الْمُحْتَاجِ إِلَى الْمُحْتَاجِ سَفَهٌ مِنْ رَأْيِهِ، وَضَلَّةٌ مِنْ عَقْلِهِ، وَقَلْتُ سُبْحَانَ رَبِّي كَيْفَ يَسْأَلُ مُحْتَاجٌ مُحْتَاجاً، وَأَنْتَ يَرْغَبُ مُعْدَمٌ إِلَى مُعْدَمٍ.. فَكُمْ قَدْ رَأَيْتُ - يَا إِلَهِي - مِنْ أَنْاسٍ طَلَبُوا الْعِزَّ بِغَيْرِكَ فَذَلُّوا، وَرَامُوا الثَّرْوَةَ مِنْ سِوَاكَ فَافْتَقَرُوا، وَحَاوَلُوا الِارْتِفَاعَ فَاتَّضَعُوا، فَأَنْتَ يَا مَوْلَايَ تُونَ كُلَّ مَسْؤُولٍ مَوْضِعَ مَسْأَلَتِي وَحَدِّكَ، وَتُونَ كُلَّ مَطْلُوبٍ إِلَيْهِ، وَلِي حَاجَتِي...».

مع أهل البيت عليه السلام نعرف الله تعالى، ونهتدي إلى طريقه، فلنحرص على معرفتهم وقراءة تراثهم، فهم القدوة، وهم الأسوة.

المشكلة أَنَّ كثيراً من شيعة أهل البيت عليه السلام لا يعرفون منهم سوى دمعة في المأساة، وبسمة في مواقع الفرح،





أما في مواقع العقل والعلم والحياة فلا نعرف إلا اليسير،
فولاية أهل البيت عليهم السلام لا تُنال إلا بما عبّر عنه الإمام
محمد الباقر عليه السلام :

«مَنْ كَانَ وَلِيّاً لِلَّهِ فَهُوَ لَنَا وَلِيٌّ، وَمَنْ كَانَ عَدُوّاً لِلَّهِ فَهُوَ
لَنَا عَدُوٌّ.. وَاللَّهُ لَا تُنَالُ وَلَا يَتَنَا إِلَّا بِالْوَرَعِ» .. هذا هو الخطُّ،
وهذا هو السبيل إلى الله.





۶۶



الرجاء والخوف التعلم والصبر





٧٤



من الاهتمامات الكبرى للإمام علي عليه السلام هو أن يتقّف الناس، بما يرفع مستوياتهم، ويحلّ مشاكلهم، ليفتح عقولهم على الحق، ويربّي نفوسهم على أساس الالتزام الوثيق بالقيم الإسلامية.

كان همّه الأكبر أن يجعل من الأمة الإسلامية أمةً متعلّمةً، مثقّفةً، منفتحةً على كلّ شؤون الحياة، فحين ندخل إلى عالم وصاياه، وبالأخص تلك التي يخاطب بها ولديه الحسن والحسين عليه السلام، فإننا نجد فيها ثقافة واسعة شاملة تتناول الجوانب العقيدية، والروحية، والأخلاقية، والاجتماعية.. كما أننا نرى ذلك حينما نقرأ وصاياه للناس كافّة، حيث نجده يعالج أكثر من قضية إسلامية تؤكّد على التواصل والتكامل والتعاون وحمل المسؤولية بين المسلمين في المجتمع الإسلامي الكبير.

كان الإمام علي عليه السلام يفكر في تربية المسلمين حتّى بعد وفاته، كان يقول لهم: «سلوني قبل أن تفقدوني»



فإني بطرق السماء أعرف مني بطرق الأرض»، كان يريد للمسلمين أن يطرحوا عليه كل ما يراود أفكارهم من علامات الاستفهام حول كل القضايا الكونية والإسلامية. كان يعيش الألم الكبير، حين يجد أناساً لا يحملون علمه، ولا يستفيدون من علمه، كان يقول، وهو يشير إلى صدره: «إِنَّ هَاهُنَا لَعِلْمًا جَمًّا، لَوْ أَصَبْتَ لَهُ حَمَلَةً»

ولعل أكثر ما يثير دهشته وألمه أيضاً عدم تجاوب الآخرين مع ما كان يريده ويطرحه، فحين كان يقول: «سلوني قبل أن تفقدوني...»، كان ينبري له بعض الجاهلين السفهاء ليقول له: «كم شعرة في رأسي»، «ليجيبه الإمام عليه السلام: «إِنَّ عَلَى كُلِّ شَعْرَةٍ مِنْ رَأْسِكَ مَلَكًا يَلْعَنُكَ».

ونتوقف هنا عند بعض الوصايا الوصايا المختصرة التي تتصل بالقيمة الإنسانية في العقيدة، والحركة الأخلاقية في الاجتماع، ويقول عليه السلام:

أَوْصِيَكُمْ بِخَمْسٍ لَوْ ضَرَبْتُمْ إِلَيْهَا آبَاطَ الْإِبْلِ (١) لَكَانَتْ لَذَلِكَ أَهْلًا:

– لَا يَرْجُونَ أَحَدًا مِنْكُمْ إِلَّا رَبَّهُ.

– وَلَا يَخَافُنْ إِلَّا ذَنْبَهُ.

(١) ضربتم إليها آباط الإبل: كناية عن شد الرحال، وحث المسير.

– وَلَا يَسْتَحْيِينَ أَحَدٌ مِنْكُمْ إِذَا سُئِلَ عَمَّا لَا يَعْلَمُ أَنْ يَقُولَ:
لَا أَعْلَمُ.

– وَلَا يَسْتَحْيِينَ أَحَدٌ إِذَا لَمْ يَعْلَمْ الشَّيْءَ أَنْ يَتَعَلَّمَهُ.
وَعَلَيْكُمْ بِالصَّبْرِ، فَإِنَّ الصَّبْرَ مِنَ الْإِيمَانِ كَالرَّأْسِ
مِنَ الْجَسَدِ، وَلَا خَيْرَ فِي جَسَدٍ لَا رَأْسَ مَعَهُ، وَلَا فِي إِيمَانٍ
لَا صَبْرَ مَعَهُ.

١- لَا يَرْجُونَ أَحَدٌ مِنْكُمْ إِلَّا رَبَّهُ

على الإنسان في كل حاجاته، واهتماماته وقضاياها.. أن
يبحث برجائه إلى ربّه، كي يحقق ما يريد ويرغب. وهذا ما
نردّه في الدعاء:

«اللَّهُم ارزقني اليقين وحسن الظن بك، وأثبت رجاءك
في قلبي، واقطع رجائي عمّن سواك، حتّى لا أرجو غيرك،
ولا أثق إلا بك...».

والسبب في ذلك: أنّك عندما ترجو أحداً في أمر، فلا
بدّ أن يملك هذه القدرة على المعالجة والحلّ والتحقيق،
والله تعالى هو وحده: «ولِي كُلُّ حَاجَةٍ، وصاحبُ كُلِّ حَسَنَةٍ،
ومُنْتَهَى كُلِّ رَغْبَةٍ»، وهو الذي «يكفي من كل شيء، ولا يكفي
منه شيء».



أَمَّا غَيْرُهُ فَلَا يَمْلِكُ شَيْئاً إِلَّا مَا مَلَكَهُ اللَّهُ تَعَالَى، حَتَّى
الْأَنْبِيَاءُ وَالْأَوْصِيَاءُ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ، وَلَا يَجْتَرَحُونَ
الْمُعْجَزَاتِ إِلَّا مَا كَانَ يَعْطِيهِمْ بَعْضُ غَيْبِهِ أَوْ قُدْرَتُهُ بِمَقْدَارِ
الْحَاجَةِ الَّتِي تَخْدُمُ رِسَالَتَهُمْ.

﴿تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ
مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [هود: ٤٩]، ﴿وَلَا أَقُولُ لَكُمْ
عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ﴾ [هود: ٢١]،
﴿وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَأَسْتَكْبَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ﴾ [الأعراف: ١٨٨].

وفي مناسبة تحدث الإمام علي عليه السلام عن بعض الغيبات،
وحينما قالوا له: يا أمير المؤمنين، هذا علمك فيه شيء من
الغيب؟

أجاب عليه السلام: لا... ولكنه علم من ذي علم، علمني إياه
رسول الله.

٢- وَلَا يَخَافُنْ إِلَّا ذَنْبَهُ

وعلى الإنسان أيضاً أن لا يخاف الفقر، لأنه قد يتحوّل إلى
غنى فيما إذا تغيّرت الظروف، وأن لا يخاف المرض، لأنه قد
يتحوّل إلى عافية، وأن لا يخاف ظلم الناس الذي قد يتحوّل
إلى أمان وعدل ونفاق.. ولكن عليه أن يخاف من ذنبه، لأنَّ



طبيعة هذا الذنب قد تثير غضب الله تعالى وسخطه، وهذا أمر لا يمكن احتماله، وهو ما عبّر عنه الإمام علي عليه السلام في دعاء كميل بن زياد:

«... فكيف احتمالي لبلاء الآخرة، وجليل وقوع المكاره فيها، وهو بلاءٌ تطول مدّته، ويدوم مقامه، ولا يُخَفَّفُ عن أهله لأنّه لا يكون إلّا عن غضبك وانتقامك وسخطك، وهذا ما لا تقوم له السماوات والأرض، فكيف بي وأنا عبدك الضعيف الذليل الحقير المسكين المستكين...».

والخوف من الذنب يفرض على الإنسان أن يلجأ إلى ربّه، نادماً، مستغفراً، مُقِرّاً، مدّعياً، معترفاً، معلناً توبته الصادقة، ونيل رضا ربّه الخالص.

٣- ولا يستحِينَ أحدُ منكم إذا سُئِلَ عَمَّا لَا يَعْلَمُ أَنْ يَقُولَ لَا أَعْلَمُ، وَلَا يَسْتَحِينَ أَحَدُكُمْ إِذَا لَمْ يَعْلَمْ الشَّيْءَ أَنْ يَتَعَلَّمَهُ. وعلى الإنسان أن يستمرّ في التعلُّم «أطلب العلم من المهد إلى اللحد»، فلا يخجل من السؤال، فإذا كان جاهلاً بأمر، فعليه أن يعترف بذلك، ويقول بكلّ جرأة: لا أعلم، ثم عليه أن يبحث عنه، بالتواصل مع أهل العلم والمعرفة، فليس العيب

في أن تنشد العلم، ولكن العيب كل العيب هو أن تدعي العلم وأنت تعيش في غياهب الجهل.

وطلب العلم لا يقتصر أمره على سنٍّ معيَّنة، بل هو يمتدّ على مدار العمر، حيث يزداد الإنسان من احتكاكه بالآخرين معارف وتجارب وخبرات، حيث يصبح أكثر علماً ووعياً وحكمة. ومع الأسف فإننا نلتقي بنماذج وقد تقدّم بهم العمر، وصاروا في سنّ الخمسين أو الستين، وهم لا يُحسنون أحكام الوضوء أو الغسل أو الصلاة، ولكنهم يخجلون من سؤال العارفين لضمان صحّة عباداتهم وقبولها، المهم هو أن تتخلّص من الخطأ، لتصبح أكثر علماً ووعياً.

٤- وعليكم بالصبر، فإن الصبر من الإيمان كالرأس من الجسد، ولا خير في جسد لا رأس فيه، ولا خير في إيمان لا صبر معه.

وعلى الإنسان أن يتسلّح بملكة الصبر، التي تزوّده بالإرادة الصلبة التي تجعله يثبت أمام الطاعة ليأتي بها، ويثبت أمام المعصية ليتركها ويرفضها.

وقد ورد عن الإمام محمد الباقر (عليه السلام): «كل أعمال البر بالصبر يرحمك الله»

والله تعالى قال لرسوله ﷺ: ﴿وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾



[النحل: ١٢٧] ، ﴿وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾
[لقمان: ١٧] .

ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ سَبَّحَانَهُ وَتَعَالَى قَدَمُ الصَّابِرِينَ أَعْظَمُ بَشَارَةً:
﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ
رَاجِعُونَ * أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَٰئِكَ هُمُ
الْمُهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٥٥-١٥٧] .

وأفضل مصداق للصبر كان الإمام علي عليه السلام ، الذي صبر
صبراً قد تعجز عنه صلابة الجبال ، وصَبَرَ الإمام عليه السلام كان
من أجل الحق ، من أجل الإسلام وهو القائل: «لَأَسْأَلَنَّ مَا
سَلِمَتْ أُمُورُ الْمُسْلِمِينَ وَلَمْ يَكُنْ بِهَا جَوْرٌ إِلَّا عَلَيَّ خَاصَّةً» .





У.У.



في النُهي عن غيبة الناس





حديث الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام هو حديث الإسلام،
الإسلام في عقيدته، وشريعته، ومنهجه، وأخلاقه، الإسلام
الذي جسده الإمام عليه السلام في سلوكه وحركته وموقفه، بحيث
بلغ به الكمال في القرب من الله تعالى.

على هذا الأساس يجدر بكل مسلم ينشد الكمال أو
الاستقامة أن يستمع إلى كلام علي عليه السلام ليفهمه، ويتدبره،
ويحدد مواقع أقدامه عندما تلتبس عليه الأمور، وتتشابك
الطرق، وتضيع المعالم.

ومن كلامه حول آفة الغيبة التي أصبحت طعام
الكثيرين وشرابهم، ومحور حديث مجالسهم وسهراتهم
يقول الإمام عليه السلام:

وَأِنَّمَا يَنْبَغِي لِأَهْلِ الْعِصْمَةِ وَالْمَصْنُوعِ إِلَيْهِمْ فِي
السَّلَامَةِ ^(١) أَنْ يَرْحَمُوا أَهْلَ الذُّنُوبِ وَالْمَعْصِيَةِ، وَيَكُونَ
الشُّكْرُ هُوَ الْغَالِبَ عَلَيْهِمْ وَالْحَاجِزَ لَهُمْ عَنْهُمْ، فَكَيْفَ

(١) المصنوع إليهم في السلامة: الذين أنعم الله عليهم، وأحسن صنعه إليهم، بالسلامة من الآثام
والخطايا.

بِالْعَائِبِ الَّذِي عَابَ أَخَاهُ وَعَيْرَهُ بِلَوَاهٍ
 أَمَا ذَكَرَ مَوْضِعَ سِتْرِ اللَّهِ عَلَيْهِ مِنْ ذُنُوبِهِ مِمَّا هُوَ أَعْظَمُ مِنَ
 الذَّنْبِ الَّذِي عَابَهُ بِهِ! وَكَيْفَ يَذْمُهُ بِذَنْبٍ قَدْ رَكِبَ مِثْلَهُ! فَإِنْ
 لَمْ يَكُنْ رَكِبَ ذَلِكَ الذَّنْبَ بَعَيْنِهِ فَقَدْ عَصَى اللَّهَ فِيمَا سِوَاهُ،
 مِمَّا هُوَ أَعْظَمُ مِنْهُ. وَإِيَّامَ اللَّهِ لَنْ لَمْ يَكُنْ عَصَاهُ فِي الْكَبِيرِ،
 وَعَصَاهُ فِي الصَّغِيرِ، لَجَرَّاتِهِ عَلَى عَيْبِ النَّاسِ أَكْبَرُ!
 يَا عَبْدَ اللَّهِ، لَا تَعْجَلْ فِي عَيْبِ أَحَدٍ بِذَنْبِهِ، فَلَعَلَّهُ مَغْفُورٌ
 لَهُ، وَلَا تَأْمَنْ عَلَى نَفْسِكَ صَغِيرَ مَعْصِيَةٍ، فَلَعَلَّكَ مُعَذَّبٌ عَلَيْهِ؛
 فَلْيَكْفِفْ مَنْ عِلْمَ مِنْكُمْ عَيْبَ غَيْرِهِ لِمَا يَعْلَمُ مِنْ عَيْبِ نَفْسِهِ،
 وَلْيَكُنِ الشُّكْرُ شَاغِلًا لَهُ عَلَى مُعَافَاتِهِ مِمَّا ابْتَلَى بِهِ غَيْرَهُ.
 الخطبة ١٤٠

إِلَى مَنْ الْخُطَابُ؟

في وصية له، يوجّه الإمام علي عليه السلام الخطاب إلى مَنْ
 رزقهم الله تعالى العصمة من الذنوب، وهم المؤمنون الأتقياء
 الذين حفظوا أنفسهم بتربية إيمانية محصّنة بالتقوى
 والإرادة الصلبة في طلب الحلال، ورفض الحرام.

هؤلاء الذين أنعم الله عليهم، وأنعم صنّعه إليهم بالسلامة
 من الآثام، ربّما يعيشون بعض حالات الضعف، فيدخل الشيطان



عليهم، ليشير لديهم الغرور بتقواهم، فينظرون إلى مَنْ دونهم، ممَّن يُذنبون ويخطئون نظرة استعلاء، أو نظرة فيها بعض مظاهر الحقد والبغض، وهذا ما نلاحظه في علاقات كثير من المؤمنين بغيرهم من المخالفين، فإذا رأوا إنساناً يشرب خمرًا، فإنهم يسارعون إلى رفضه، ونبذه والحقد عليه، دون دراسة ظروفه أولاً، ودون التفكير في الأسلوب الذي يهديه وينقذه من حالته ثانياً. فالنظرة السلبية كردّة فعل أولى تحمل الكثير من التعقيد والمشاعر المضادة التي لا تحل المشكلة، لا بل تعقدها، وتمنع الآخر المرتكب للمعصية من التجاوب مع الموعظة والنصيحة، وهي في كثير من الحالات تدفع إلى التحدي بل والإصرار على ارتكاب المعصية.



الرحمة الإنسانية للمذنب



«وإنما ينبغي لأهل العصمة، والمصنوع إليهم في السّلامة أن يرحموا أهل الذنوب والمعصية...» أي أن ترحم المذنب، وتتنظر إليه نظرة المريض نفسياً، والذي يحتاج إلى تشخيص وعلاج بوسائل إنسانية علمية حضارية، تتطلق من روح إسلامية سامية...

إننا في علاقتنا بالآخرين قد نلتقي بأمراض جسدية،

وهذا ما اعتدنا عليه، بل هو همّ الغالبية العظمى من البشر، ولكننا لم نألف التوقّف عند الأمراض الروحيّة والنفسية، فالإنسان الذي ينسى ربّه، ويغفل عن أداء واجباته نحوه، لا بل قد يتجرأ على معصيته في تجاوز أوامره ونواهيه... هو إنسان مريض، لأنّه يظلم نفسه من حيث لا يدري، إنّه يورط نفسه بتصرفات ومواقف قد تؤدّي إلى غضب ربّه تبارك وتعالى، وبالتالي إلى العذاب الخالد في نار جهنم، وهنا نقول بألم: وهل هناك مرض أعظم من مرض كهذا؟ يقول الإمام علي عليه السلام في دعاء كميل:

«يا ربّ... وأنت تعلم ضعفي عن قليل من بلاء الدنيا وعقوباتها وما يجري فيها من المكاره على أهلها، على أنّ ذلك بلاءٌ ومكروه، قليل مكثه، يسيرٌ بقاؤه، قصير مدّته، فكيف احتمالي لبلاء الآخرة وجليل وقوع المكاره فيها، وهو بلاءٌ تطول مدّته، ويدوم مقامه، ولا يخفّ عن أهله، لأنّه لا يكون إلا عن غضبك وانتقامك وسخطك، وهذا ما لا تقوم له السماوات والأرض...».

خلاصة القول: يتوجّه الإمام عليه السلام للإنسان: كن إنسانياً في نظرتك إلى الآخر إذا عصمك الله من الذنوب، ووفقك لأن تكون من المطيعين المتّقين، لا تحقد على أهل الذنوب



والمعاصي، بل سَأَطَّ كُلَّ حَقْدِكَ عَلَى ذُنُوبِهِمْ وَمَعَاصِيهِمْ،
لتعمل بالتالي على التفكير بالطريقة التي تطهّرهم منها.

الستر على المذنب حفظاً للكرامة وطريقاً للعلاج

«ويكون الشكر هو الغالب عليهم، والحاجز لهم

عنهم...»

- على المؤمنين أن يرحموا أهل الذنوب والمعصية، وإذا
نظروا إليهم وهم منغمسون في معصية الله تعالى، عليهم
- أي على المؤمنين - أن يبادروا أولاً إلى شكر الله الذي
أنقذهم من هذا المرض النفسي الروحيّ العضال الذي وقع
فيه هؤلاء، وثانياً: إلى أن يكون هذا الشكر حاجزاً ومانعاً
من القيام بأفعال سلبية ذاتية حاقدة ضدهم، لأنّ مثل هذه
التصرّفات قد تعقّد الأمور، ولا تساهم في حلّ المشاكل كما
قلنا سابقاً.

ثمّ يتابع الإمام عليه السلام بالقول: «فكيف بالعائب الذي
عاب أخاه، وعيّرهُ ببلواه، أما ذكر موضع ستر الله عليه من
ذنوبه، ممّا هو أعظم من الذنب الذي عابه به...». فعلى
الإنسان التقى إذا رأى في أخيه عيباً روحياً أو شرعياً، عليه
أن لا يسارع إلى ذمّه، ونشر عيبه، وتعييره به، فإنّ في ذلك

هتكاً لحرمة، واعتداء على كرامته. وهو بذلك يهتك ستر الله سبحانه وتعالى الذي ستره به، «فهو خير الساترين، وأحكم الحاكمين، ستار العيوب، غفار الذنوب»، ثم إن الإمام زين العابدين (عليه السلام) في هذا الإطار يخاطب الله عز وجل في دعائه: «... تستر الذنب بكرمك، وتؤجل العقوبة بحلمك، فسبحانك ما أحلمك وأعظمك مبدئاً ومعيداً...». وأنت أيها التقى المؤمن ألا تعلم أن عدم سترك لعيب أخيك هو بحد ذاته ذنب أكبر من الذنب الذي عبت فيه ذنب أخيك، فتكون بذلك قد وقعت في ذنب وأنت تطلب من الآخر أن يهرب منه، لذلك نجد الإمام (عليه السلام) يستنكر ويعجب: «وكيف يذمه بذنب ركب مثله، فإن لم يكن ركب ذلك الذنب بعينه، فقد عصى الله فيما سواه، مما هو أعظم منه...».

ربما يشير الإمام علي (عليه السلام) إلى أمر مفاده: أنك أيها المسلم قد تمارس الصلاة والصوم، وتذهب للحج والعمرة وزيارة الأماكن المقدسة، وتؤتي الزكاة والخمس، وتنفق في سبيل الله، وقد لا ترتكب المعاصي من زنا، وربا، وشرب خمر، وتعاطي قمار وغيرها... بهذا كله فأنت لا ترتكب المعصية الكبيرة، ولا الصغيرة والحمد لله، ولكنك بجرأتك على عيب الناس، وهتك سترهم تكون قد ارتكبت ذنباً أكبر من الكبيرة



فكيف الصغيرة؟ وأيضاً قد تكون قد وقعت في معصية أكبر من هذه التي وقع فيها الإنسان الذي عبته.

النهى عن الغيبة

وبذلك ينهى الإمام علي عليه السلام عن الغيبة بالقول: «وَأَيْمُ اللَّهِ لئن لم يكن عصاه في الكبير، وعصاه في الصغير، لجرأته على عيب الناس أكبر».

ثم يفصل الإمام عليه السلام في إطار التحذير من آفة الغيبة: «يا عبد الله... لا تعجل في عيب أحد بذنبه، فلعلّه مغفور له، ولا تأمن على نفسك صغير معصية، فلعلّك معذب عليه. فليكف من علم منكم عيب غيره، لِمَا يعلم من عيب نفسه، وليكن الشكر شاغلاً له، على معافاته ممّا ابتلي به غيره».

وفي تعبير «يا عبد الله...» يريد الإمام عليه السلام أن يذكر الإنسان المؤمن بأنه عبد لله، ومن كان عبداً لله عليه أن يجسّد هذه العبودية بالتقوى التي من مظاهرها الطاعة لله تعالى في كلّ ما أمر ونهى... وعلى ضوء هذا لا تعجل في عيب أحد لذنبه، فلعلّ هذا الذنب يكون قد غفره الله له، والله غفور رحيم، والله تعالى كما قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ...﴾ [النساء: ٤٨]. إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ تَعَالَى وَاسِعَةٌ،



وهي رحمة يتناول لها عنق إبليس في يوم القيامة، فكيف الأمر بالنسبة لعبده المقترف لذنوب دون إصرار أو تحد.

إننا نقيس رحمة الله على مزاينا، وعلى روحيتنا التي تتصل بالبخل في إطار العفو أو الإنفاق، فلو أن الله سبحانه سلمنا مفاتيح الجنة، فكم نسمح بدخولها؟ يقول الله تعالى: ﴿قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذَا أَنْتُمْ كَشَيْتُمُ الْبَخْلَ الْإِنْفَاقِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَتُورًا﴾ [الإسراء: ١٠٠].

فالله تعالى أعطاكم الرزق، وسمح لكم بالإنفاق، فلماذا البخل والتضييق؟ لنتخلق بأخلاق الله الغفور الرحيم الكريم.

يا عبد الله... لا تعجل في عيب أحد بذنبه، فلعلة مغفور له، ولا تأمن على نفسك صغير معصية، فلعلة معذب عليها... بعض الناس يقول: الحمد لله تعالى، فأنا غالباً في طاعة الله، ولكنني قد أقترف أحياناً بعض الذنوب الصغيرة: إهانة عابرة لإنسان مؤمن، اعتداء ظرفي لزوجتي أو ابني، احتقار لفقير مستضعف... هذه الذنوب الصغيرة ربما يعذبك الله عليها، ولا يغفرها لك.

أيها العبد الصالح لا تستصفرن سيئة فلربما أدخلتك النار، كما لا تستصفرن حسنة فلربما أدخلتك الجنة، فلا



تُؤْمِن، ولا تثق بنفسك كل الثقة لتجعلها حاكماً على سلوك
الناس.

وأخيراً يشدد الإمام عليه السلام على أن يكفَّ كل واحدٍ منّا عن
الاشتغال بما يعلم من عيوب الآخرين، إلى الاشتغال بما يعلم
من عيوبه ليحاول أن يعالجها، ويحصّن نفسه من أمثالها،
أمّا عيوب الآخرين التي سَلِمَ منها، فعليه أن يتوجّه لله عزّ
وجلّ بالشكر على معافاته ممّا ابتُلوا به.

هذا درسٌ تربوي من كتاب عليّ عليه السلام، من المفيد أن
نتربّى به، فنقلع عن العيوب التي تشوّه شخصياتنا، ونستغفر
الله تعالى من تبعاتها، ولا نتخذ بما نعلم من عيوب الآخرين
مادة للإعلان والتشهير والإذلال، ممّا يدخل في عالم الغيبة
التي تُعتبر من كبائر الذنوب... لنستغفر الله على كلِّ حال
قبل أن يأتي اليوم الذي لا نملك فيه فرص التوبة، اليوم الذي
لا ينفع فيه مال ولا بنون، إلّا من أتى الله بقلبٍ سليم.



❦ الفهرس ❦

٥.....	المقدمة
٧.....	أفضل المؤمنين
١١.....	مكانة الإمام علي عليه السلام وأهليته
١٢.....	الإمام علي عليه السلام في وعي مجتمعه
١٤.....	الإمام علي عليه السلام في إدارة دولته
١٥.....	أفضل المسلمين من يعيش مسؤولية العطاء
١٧.....	أفضل المسلمين من يستفيد من تجارب الآخرين
٢٠.....	أفضل المسلمين من يختار البيئات الصالحة
٢١.....	أفضل المؤمنين من يعرف كيف يشكر الله على نعمه
٢٣.....	أفضل المؤمنين من يعرف متى وكيف يعبد الله تعالى
٢٦.....	أفضل المؤمنين من يعرف كيف يستعد للقاء ربه



في العبادات ومكارم الأخلاق ٣١

١ - التشديد على إقامة الصلاة ٣٤

٢ - من فوائد إقامة الصلاة ٣٦

٣ - رجال الصلاة ٣٨

٤ - إيتاء الزكاة بأداء طيب ٤٠

دور الأمانة في توازن شخصية المسلم ٤٢

العلاقة الروحية مع الله تعالى ٤٥

١ - الحياة والصحة ٤٩

٢ - السلامة من سوء العمل ٤٩

٣ - السلامة في الدين ٥٠

٤ - السلامة من العذاب ٥١

٥ - عفوك يا رب ٥٢

٦ - أنا الفقير فأعني ٥٣

٧ - وأنا الضالّ فأهديني ٥٤

٨ - وأنا الذليل فأعزني ٥٤

٩ - واجعل أفضل أيامي خواتيمها ٥٥

مع الله تعالى في كلماته ٥٧

مع الإمام علي عليه السلام في علاقته بالله تعالى ٥٨

الرجاء والخوف والتعلم والصبر ٦٣

في النهي عن غيبة الناس ٧٣

إلى من الخطاب؟ ٧٦





الرحمة الإنسانية للمذنب.....	٧٧
الستر على المذنب حفظاً للكرامة وطريقاً للعلاج.....	٧٩
النهي عن الغيبة.....	٨١
الفهرس.....	٨٥



هذه هي كلمات علي

التي تفتح قلوبنا وعقولنا على
مسؤولياتنا في عبادة ربنا، والقيام
بكل ما حملنا إياه من رعاية أنفسنا،
وخدمة كل من يحيط بنا. هذا هو
هدى علي عليه السلام، وهدى علي عليه السلام،
هو هدى رسول الله ﷺ، وهدى
رسول الله ﷺ هو هدى الله تعالى

